بابُ
ما جاءَ في
وفاةِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وهيَ أعْظمُ المَصائِبِ، فَما أُصيبَ المُسلِمُونَ بمُصيبَةٍ هيَ أعْظَمُ من مُصابِهِم به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابنُ عبد البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُصيبَةُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعْظمُ من كُلِّ مُصيبَةٍ يُصابُ بها المُسلِمُ بَعدَهُ إلى يَومِ القيامَةِ، انْقَطَعَ الوَحْيُ، وماتَتِ النُّبُوَّةُ»[١].

والوَفاةُ: المَوْتُ، منْ: «وَفَى» -بِالتَّخْفيفِ- بمعنى: تَمَّ، أي: تَمَّ أجَلُهُ[٢].

عن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: «آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُها إلى رسولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **كَشَفَ السِّتارَةَ يومَ الاثْنَينِ، فَنَظَرْتُ إلى وجْهِهِ كأنَّهُ ورَقَةُ مُصْحَفٍ، والنَّاسُ خَلْفَ أبي بَكْرٍ، فأشارَ إلى النَّاسِ: أنِ اثْبُتُوا، وأبو بَكْرٍ يَؤُمُّهُم، وألْقَى السِّجْفَ، وتُوُفِّيَ رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من آخِرِ ذلك اليومِ»**[٣].

«**آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُها إلى رسولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَشَفَ السِّتارَةَ**»: وهيَ السِّتْرُ الذي يكونُ على بابِ البَيتِ والدَّارِ، والمُرادُ: أنَّه أمَرَ بكَشْفِ السِّتارَةِ المُعلَّقَةِ على بَيتِهِ الشَّريفِ.

---

(١) التَّمهيدُ (١٩/ ٣٢٢).

(٢) جمع الوسائل (٢/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

«**يومَ الِاثْنَينِ**» فيه الإشارَةُ إلى أَنَّهُ تُوُفِّيَ يومَ الاثنَينِ؛ لأنَّ هذه هيَ آخِرُ نَظرَةٍ نَظَرَها إليه.

«**فَنَظَرْتُ إلى وجْهِهِ كَأَنَّهُ ورَقَةُ مُصْحَفٍ**»:

عِبارَةٌ عنِ الجَمالِ البارِعِ، وحُسْنِ البَشَرَةِ، وصَفاءِ الوَجْهِ واسْتِنارَتِهِ.

وفي المُصْحَفِ ثَلاثُ لُغاتٍ: ضَمُّ الميمِ، وكَسْرها، وفَتْحها[1].

وفي روايَةِ مُسلِمٍ: «ثُمَّ تَبَسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ ضاحِكًا»، **قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَبَبُ تَبَسُّمِهِ ﷺ: فَرَحُهُ بما رَأى منِ اجْتِماعِهِم على الصَّلاةِ، واتِّباعِهِم لِإمامِهِم، وإقامَتِهِم شَريعَتَهُ، واتِّفاقِ كَلِمَتِهِم، واجْتِماعِ قُلُوبِهِمْ؛ ولِهذا اسْتَنارَ وجْهُهُ ﷺ على عادَتِهِ، إذا رَأى أو سَمِعَ ما يَسُرُّهُ يَسْتَنيرُ وجْهُهُ، وفيه معنًى آخَرُ، وهو تَأْنيسُهُم، وإعْلامُهُم بتَماثُلِ حالِهِ في مَرَضِهِ.

وقيلَ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ ليُصَلِّيَ بهِم، فَرَأى من نَفْسِهِ ضَعْفًا، فَرَجَعَ»[2].

وفيهِ: ما كان عليه النبيُّ ﷺ منَ الجَمالِ البَديعِ، فهو أجمَلُ النَّاسِ وأحسَنُهُم خَلْقًا وخُلُقًا.

«**والنَّاسُ خَلْفَ أبي بَكْرٍ**» في الصَّلاةِ، بأمْرِهِ ﷺ.

فأرادُوا أن يَقْطَعُوا الصَّلاةَ من كَمالِ الفَرَحِ بطَلْعَتِهِ، المُشْعِرَةِ بعافيَتِهِ.

«**فأشارَ إلى النَّاسِ: أنِ اثْبُتُوا**» أي: كُونُوا ثابتينَ على ما أنْتُم عليه منَ الصَّلاةِ، أو القيامِ في الصَّفِّ.

«**وأبو بَكْرٍ يَؤُمُّهُمْ**»، فَصلَّى بهِم تِلكَ الصَّلاةِ، وكانتْ صَلاةَ الصُّبحِ.

فعنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ: أنَّ المُسْلِمينَ بَينا هُم في الفَجْرِ يومَ الِاثْنَينِ، وأبو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي بهِم، فَفَجِئَهُمُ النبيُّ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فَنَظَرَ إليهم وهُم

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٤٢).

(٢) المرجع السابق.

صُفُوفٌ، فَتبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَنكَصَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عَقِبَيهِ، وظَنَّ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُريدُ أن يَخْرُجَ إلى الصَّلاةِ، وهَمَّ المُسْلِمُونَ أن يَفْتَتِنُوا في صَلاتِهِمْ؛ فَرَحًا بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ رَأَوْهُ، فأشارَ بيَدِهِ: «أنْ أتِمُّوا»، ثُمَّ دَخَلَ الحُجْرَةَ وأرْخَى السِّتْرَ، وتُوُفِّيَ ذلك اليومَ[1].

«**وَأَلْقَى**» أي: أرْخَى «**السِّجْفَ**» السِّتْرَ، وهو الذي عَبَّرَ عنه أوَّلًا بالسِّتارَةِ، وقيلَ: لا يُسَمَّى سِجْفًا إلا أن يكونَ مَشقُوقَ الوَسَطِ كالمِصراعَينِ، وهو بكَسْرِ السِّينِ وفَتْحِها، وإسْكانِ الجيمِ، لُغَاتٍ، والأوَّلُ أصَحُّ[2].

«**وَتُوُفِّيَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آخِرِ ذلك اليومِ**» أي: من آخِرِ يَومِ الاثنَينِ.

وقال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا ارْتَفَعَ الضُّحَى من ذلك اليَومِ تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيلَ: تُوُفِّيَ حينَ زاغَتِ الشَّمسُ، والأوَّلُ أصَحُّ، وأنَّهُ تُوُفِّيَ حينَ اشْتَدَّ الضُّحَى من يَومِ الاثْنينِ، في مِثلِ الوَقتِ الذي دَخَلَ فيه المدينَةَ حينَ هاجَرَ إليها»[3].

* وهذا الحديثُ يدلُّ على فَضْلِ أبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدِّينِ على جَميعِ الصَّحابَةِ؛ حيث صَلَّى بهِم إمامًا، بأمرِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* **وفيه**: الإشارَةُ إلى خلافَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنَّه هو الخَليفَةُ الأوَّلُ بعدَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن عائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالتْ: «كُنْتُ مُسْنِدَةَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صَدْري -أو قالتْ: إلى حَجْري-، فَدَعا بطَسْتٍ ليَبُولَ فيهِ، ثُمَّ بالَ، فَماتَ»[4].

---

(١) رواه البخاري (١٢٠٥).

(٢) مرقاة المفاتيح (٥/ ١٩٥٦).

(٣) لَطائِفُ المَعارِفِ (ص ١٠٩).

(٤) رواه ابنُ خُزيمَةَ (٦٥)، وابنُ حِبَّان (٦٦٠٣)، ولَفظُ ابنِ خُزيمَةَ: «كُنْتُ مُسْنِدَةً النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صَدْري، فدَعا بطَسْتٍ فَبالَ فيها، ثُمَّ مالَ فَماتَ»، وصحّحه الألبانيُّ في مُختصَر الشّمائل (٣٢٣)، وهو في الصّحيحَينِ، عنِ الأسْوَدِ بنِ يَزيدَ، قال: ذَكَرُوا عند عائِشَةَ أنَّ عليًّا كان وصيًّا، فَقالتْ: «مَتَى أوْصَى إليه؟ فَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إلى صَدْري -أوْ قالتْ: حَجْري- فَدَعا بالطَّسْتِ، فَلَقَدِ انْخَنَثَ في حَجْري، وما شَعَرْتُ أنَّهُ ماتَ، فَمَتَى أوْصَى إليه؟».

وهُوَ في الصَّحيحَينِ بدُونِ ذِكْرِ التّبوّل.

«**كُنْتُ مُسْنِدَةً النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى صَدْري، أو قالتْ: إلى حَجْري**»:

حَجرُ الإنسانِ -بالفَتْحِ، والكَسْرِ-: حِضْنُهُ، وهو ما دُونَ إبْطِهِ إلى الكَشْحِ[١].

وفي روايةٍ: «ماتَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنَّه لَبينَ حاقِنَتي وذاقِنَتي»[٢].

والحاقِنَةُ: ما سَفُلَ مِنَ الذَّقْنِ، والذَّاقِنَةُ: ما عَلا منْهُ، أي: كان رَأسُهُ بينَ حَنَكِها وصَدْرِها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٣].

وفي روايَةٍ: «تُوُفِّيَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بَيتي، وفي نَوبَتي، وبينَ سَحْري ونَحْري، وجَمَعَ اللهُ بينَ ريقي وريقِهِ»[٤].

والسَّحْرُ: الرِّئَةُ، والنَّحْرُ: مَجمَعُ التَّراقي في أعْلى الصَّدْرِ.

قال الحافِظُ: «**والحاصِلُ**: أنَّ ما بينَ الحاقِنَةِ والذَّاقِنَةِ، هو ما بينَ السَّحْرِ والنَّحْرِ، والمُرادُ: أنَّهُ ماتَ ورَأْسُهُ بينَ حَنكِها وصَدْرِها، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورَضيَ عَنْها، وهذا لا يُغايِرُ حَديثَها الذي قَبْلَ هذا: أنَّ رَأْسَهُ كان على فَخِذِها؛ لأنَّهُ مَحْمُولٌ على أنَّها رَفَعَتْهُ من فَخِذِها إلى صَدْرِها»[٥].

وفي هذا الحديثِ:

بيانُ فَضْلِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ حيث إنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماتَ في يومِها، واستَأْذَنَ زَوْجاتِه بأنْ يُمَرَّضَ في بَيتِها، فأذِنَّ لَهُ، وماتَ وهيَ مُسنِدَتُهُ إلى صَدْرِها، وقدْ خالَطَ ريقُهُ ريقَها، فقَبَّحَ اللهُ مَنْ يَطْعَنُ فيها.

«**فَدَعا بطَسْتٍ ليَبُولَ فيهِ، ثُمَّ بالَ، فَماتَ**» والطَّسْتُ: إناءٌ مُستَديرٌ من نُحاسٍ أو نَحوِه[٦].

---

(١) المُغرب (ص١٠٤).

(٢) رواه البخاري (٤٤٣٨).

(٣) فتح الباري (٨/ ١٣٩).

(٤) رواه البخاري (٣١٠٠)، ولمسلمٍ (٢٤٤٣): «قَبَضَهُ اللهُ بيْن سَحْري ونَحْري».

(٥) فتح الباري: (٨/ ١٣٩).

(٦) المعجم الوسيط (٢/ ٥٥٧).

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنَّها قالتْ: رَأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو بالمَوْتِ، وعِنْدَهُ قَدَحٌ فيه ماءٌ، وهو يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وجْهَهُ بالماءِ، ثُمَّ يقولُ: «اللهُمَّ أعِنِّي على مُنْكَراتِ -أوْ قال: على سَكَراتِ- المَوْتِ»[1].

وقَدْ رَوَى البُخاريُّ، عن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنّها كانَتْ تَقُولُ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان بينَ يَدَيهِ رَكْوَةٌ -أوْ عُلْبَةٌ- فيها ماءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيهِ في الماءِ، فَيَمْسَحُ بهِما وجْهَهُ، ويقولُ: «**لا إلَهَ إلا اللهُ، إنَّ لِلْمَوْتِ سَكَراتٍ**»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يقولُ: «**في الرَّفيقِ الأعْلى**»، حتى قُبِضَ ومالَتْ يَدُهُ[2].

«**رَأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو بالمَوْتِ**» أي: مَشغُولٌ، أو مُتَلَبِّسٌ بهِ.

«**وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فيه ماءٌ، وهو يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ**» أي: يَغْمِسُ يَدَهُ في القَدَحِ، وهو الإناءُ.

«**ثُمَّ يَمْسَحُ وجْهَهُ بالماءِ**»؛ وذلك دَفْعًا لِحرارَةِ المَوْتِ، أو دَفْعًا للغَشيانِ وكَرْبِهِ[3].

«**اللهُمَّ أعِنِّي على مُنْكَراتِ -أوْ قال: على سَكَراتِ- المَوْتِ**»:

سَكَراتُ: جَمْعُ سَكْرَةٍ، وسَكَراتُ المَوْتِ: هيَ شَدائِدُهُ وغُصَصُهُ.

قال القُرطُبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**في تَشديدِ المَوْتِ على الأنبياءِ فائِدَتانِ:**

إحداهُما: تَكميلُ فضائِلِهم، ورَفْعُ دَرَجاتِهم، وليس ذلك نَقْصًا ولا عَذابًا، بل هو كما جاءَ: «**إنَّ أشَدَّ النَّاسِ بَلاءً الأنبياءُ، ثُمَّ الأمْثَلُ فالأمْثَلُ**»[4].

والثَّانيَةُ: أن يَعْرِفَ الخَلْقُ مِقدارَ أَلَمِ المَوْتِ، فَقَدْ يَطَّلِعُ الإنسانُ على بَعضِ المَوتَى ولا يَرَى عليه حَرَكَةً ولا قَلَقًا، ويَرَى سُهُولَةَ خُرُوجِ رُوحِهِ؛ فيَظُنُّ الأمْرَ سَهْلًا، ولا يَعْرِفُ ما المَيِّتُ فيهِ، فَلَمَّا ذَكَرَ الأنبياءُ الصَّادِقُونَ شِدَّةَ المَوتِ، مع كرامَتِهِم على اللهِ سبحانه، قَطَعَ الخَلْقُ بشِدَّةِ

---

(١) رواه الترمذي (٩٧٨)، وابن ماجه (١٦٢٣)، وضعَّفه الألباني.

(٢) صحيح البخاري (٦٥١٠).

(٣) تحفة الأحوذي (٤/ ٤٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وصححه، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وصححه الألباني.

المَوْتِ الذي يُقاسيهِ المَيِّتُ مُطْلَقًا؛ لإخبارِ الصَّادِقِ عنه، ما خَلا الشَّهيدَ قتيلَ الكُفَّارِ على ما ثَبَتَ في الحديثِ[١]»[٢].

وفي الحديثِ: أنَّ شِدَّةَ المَوْتِ لا تَدُلُّ على نَقصٍ في المَرتَبَةِ، بل هيَ للمُؤمنِ إمَّا زيادَةٌ في حَسَناتِهِ، وإمَّا تكفيرٌ لسَيِّئاتِهِ.

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالتْ: «لا أغْبِطُ أحَدًا بهَوْنِ مَوْتٍ بعدَ الذي رَأيتُ من شِدَّةِ مَوْتِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٣].

«**لا أغْبِطُ أحَدًا**» يُقال: غَبَطْتُ الرَّجُلَ أغبِطُهُ: إذا اشتَهَيتُ أن يكونَ لي مِثْلُ ما لَهُ، وأنْ يَدُومَ عليه ما هو فيهِ، أي: ما أحْسدُ أحَدًا، ولا أتمَنَّى، ولا أفرَحُ لأحَدٍ.

«**بِهَوْنِ مَوْتٍ**» الهَوْنُ: الرِّفْقُ واللِّينُ، أي: بسُهُولَةِ مَوْتٍ.

فهَوْنُ المَوْتِ وسُهُولَتُهُ ليس منَ المَكرُماتِ، وإلَّا لَكانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوْلى النَّاسِ بهِ، فلا أكرَهُ شِدَّةَ المَوْتِ لأحَدٍ، ولا أغبِطُ أحَدًا يَمُوتُ من غَيرِ شِدَّةٍ.

ومُرادُها بذلك: إزالَةُ ما تَقَرَّرَ في النُّفُوسِ من تَمَنِّي سُهُولَةِ المَوْتِ[٤].

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالتْ: لَمَّا قُبِضَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَفُوا في دَفْنِهِ، فقال أبو بَكْرٍ: سَمِعْتُ من رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا ما نَسيتُهُ، قال: «ما قَبَضَ اللهُ نَبيًّا إلا في المَوْضِعِ الذي يُحِبُّ أن يُدْفَنَ فيهِ»، ادْفِنُوهُ في مَوْضِعِ فِراشِهِ[٥].

---

(١) يشير إلى ما رواه الترمذي (١٦٦٨)، وصححه، وابن ماجه (٢٨٠٢)، وأحمد (٧٩٥٣)، عن أبي هُريرة، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يَجِدُ الشَّهيدُ من مَسِّ القَتْلِ، إلا كما يَجِدُ أحَدُكُم من مَسِّ القَرْصَةِ»، وصححه الألباني.

(٢) الفُتُوحاتُ الرّبانيّةُ، لابنِ علّان (٤/ ٩٦).

(٣) رواه الترمذي (٩٧٩)، وصححه الألباني.

(٤) مرقاة المفاتيح (٣/ ١١٤١)، مُنتَهى السُّؤل، للشحاريّ (٤/ ٢١٦).

(٥) رواه الترمذي (١٠١٨)، وقال: «هذا حَديثٌ غَريبٌ»، وصححه الألباني.

«**لَمَّا قُبِضَ رسولُ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ» أي: لمَّا تَحقَّقَتْ وفاتُهُ.

«**اخْتَلَفُوا في دَفْنِهِ**»:

قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في مَوْضِعٍ يُدْفَنُ فيهِ، فَقيلَ: يُدْفَنُ بالبَقيعِ بينَ أصْحابِهِ، وقيلَ: بمَكَّةَ، وقيلَ: عند أبيهِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أو في نَفْسِ الدَّفْنِ»[١].

فَقال أبو بَكْرٍ: سَمِعْتُ من رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **شيئًا، ما نَسيتُهُ، قال: «ما قَبَضَ اللهُ نَبيًّا إلا في المَوْضِعِ الذي يُحِبُّ أن يُدْفَنَ فيهِ»**:

قال المناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إكرامًا لَهُ؛ حيث لم يُفعلْ بهِ إلا ما يُحِبُّهُ، ولا يُنافيهِ كَراهَةُ الدّفنِ في البيُوتِ؛ لأنَّ من خَصائِصِ الأنبياءِ أنّهم يُدفَنونَ حيث يَموتونَ»[٢].

فَزالَ الخِلافُ بينَ الصّحابَةِ، وهكذا السُّنَّةُ يَزولُ بها الخِلافُ، وتَجتَمِعُ عليها قُلوبُ المُؤمنينَ.

وقال الحافِظُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَدْ عُلِمَ بالتَّواتُرِ أنَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دُفِنَ في حُجْرةِ عائِشَةَ التي كانَتْ تَخْتَصُّ بها، شَرْقيَّ مَسْجدِهِ في الزَّاويةِ الغَربيَّةِ القِبْليَّةِ منَ الحُجْرةِ، ثُمَّ دُفِنَ فيها أبو بَكْرٍ، ثُمَّ عمرُ رَضِيَ ٱللَّهُعَنْهُمَا»[٣].

عن ابنِ عبَّاسٍ وعائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُعَنْهُمَا: **«أنَّ أبا بَكْرٍ قبَّلَ النبيَّ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **بَعدَما ماتَ»**[٤].

وفي البُخاريِّ عن عائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُعَنْهَا: أنَّ أبا بَكْرٍ دخَلَ على النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو مُسَجًّى ببُرْدِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عن وجْهِهِ، ثُمَّ أكَبَّ عليه فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى، فقال: «بِأبي أنْتَ يا نَبيَّ اللهِ، لا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيكَ مَوْتَتَينِ، أمَّا المَوْتَةُ التي كُتِبَتْ عَلَيكَ فَقَدْ مُتَّها»[٥].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٨٤٨).

(٢) التيسير (٢/ ٣٥٤).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٥٣).

(٤) رواه البخاري (٤٤٥٥).

(٥) صَحيحُ البُخاريِّ (١٢٤١).

وفي روايةٍ له أيضًا: «فَجاءَ أبو بَكْرٍ، فَكَشَفَ عن رسولِ اللهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قال: بأبي أنْتَ وأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا ومَيِّتًا، والذي نَفْسي بيَدِهِ، لا يُذيقُكَ اللهُ المَوْتَتَينِ أبَدًا»(١).

فيهِ: جَوازُ تَقبيلِ المَيِّتِ، وقدْ قَبَّلَ النبيُّ ﷺ عُثمانَ بنَ مَظعُونٍ رضي الله عنه بَعدَما ماتَ(٢).

عن عائشةَ، أنَّ أبا بَكْرٍ دَخَلَ على النبيِّ ﷺ بعدَ وفاتِهِ فَوَضَعَ فَمَهُ بينَ عَينَيهِ، ووَضَعَ يَدَيهِ على ساعِدَيهِ، وقال: «وانَبيَّاهُ! واصَفيَّاهُ! واخَليلاهُ!»(٣).

وفي رِوايةٍ: «... ثُمَّ جاءَ أبو بَكْرٍ، فَرَفَعْتُ الحِجابَ، فَنَظَرَ إليه، فقال: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُونَ، ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أتاهُ من قِبَلِ رَأْسِهِ، فَحَدَرَ فاهُ، وقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قال: وانَبيَّاه ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ حَدَرَ فاهُ، وقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قال: واصَفيَّاه ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وحَدَرَ فاهُ، وقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، وقال: واخَليلاه ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ»(٤).

وقال القاري رحمه الله: «**وانَبيَّاهُ**»: بَهاءِ ساكِنَةٍ لِلسَّكْتِ، تُزادُ وقْفًا لِإرادَةِ ظُهُورِ الأَلِفِ لِخَفائِها، وتُحْذَفُ وصْلًا، وإنَّما أُلْحِقَ آخِرَهُ الهاءُ؛ لِيَمْتَدَّ بِهِ الصَّوْتُ، ولِيَتَمَيَّزَ المَنْدُوبُ عنِ المُنادَى»(٥).

عن أنَسٍ رضي الله عنه، قال: «لَمَّا كان اليومُ الذي دَخَلَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ المدينَةَ أضاءَ منها كُلُّ شيءٍ، فَلَمَّا كان اليومُ الذي ماتَ فيه أظْلَمَ منها كُلُّ شيءٍ، وما نَفَضْنا أيدِيَنا منَ التُّرابِ، وإنا لَفي دَفْنِهِ ﷺ، حتى أنْكَرْنا قُلُوبَنا»(٦).

---

(١) صَحيحُ البخاري (٣٦٦٧).

(٢) رواه أبو داود (٣١٦٣)، وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (٢٤٠٢٩)، وحسَّنه محققو المسند.

(٤) رواه أحمد (٢٥٨٤١)، وحسَّنه محققو المسند.

(٥) جمع الوسائل (٢/ ٢٠٩).

(٦) رواه الترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، وأحمد (١٣٨٣٠)، وقال محققو المسند: «إسْنادُهُ قَويّ على شَرطِ مُسلِمٍ».

«لَمَّا كان اليومُ الذي دَخَلَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ المدينَةَ أضاءَ منها كُلُّ شيء»:

أي: تَنَوَّرَتِ المدينَةُ بدُخُولِهِ ﷺ، فَشَعَّ نُورُ الهِدايَةِ العامَّةِ في المدينَةِ، ورُفعَتْ أصنافُ أطوارِ الظُّلْمَةِ الطَّامَّة.

أو يُقال: إنَّ الإضاءَةَ هُنا كِنايَةٌ عنِ الفَرَحِ التَّامِّ لسُكَّانِ المدينَةِ، مع عَدَمِ الالتِفاتِ إلى أهلِ العَداوَةِ.

«فَلَمَّا كان اليومُ الذي ماتَ فيهِ، أظْلَمَ منها كُلُّ شيءٍ»، فذَهَبَ ذلك النُّورُ بمَوْتِهِ، والأظْهَرُ: أنَّ كُلًّا منَ الإضاءَةِ والإظلامِ مَعْنَوِيَّانِ[1].

فأظلَمَتِ المدينَةُ عند مَوْتِهِ، وحَزِنَ سُكَّانُها على فِراقِهِ، وضَجُّوا بالبُكاءِ، قال أبو ذُؤيبٍ الهُذَلِيُّ: «قَدِمتُ المدينَةَ ولأهلِها ضَجيجٌ بالبُكاءِ، كضَجيجِ الحَجيجِ إذا أهَلُّوا بالإحْرامِ، فَقلت: مَهْ! فقالوا: قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ»[2].

وعن أَنَسٍ رضي الله عنه، قال: «قال أبو بَكْرٍ رضي الله عنه بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ لِعمرَ: انْطَلِقْ بنا إلى أُمِّ أيمنَ نَزُورُها كما كان رسولُ اللهِ ﷺ يَزُورُها، فَلَمَّا انْتَهَينا إلَيها بَكَتْ، فَقالا لَها: ما يُبْكيكِ؟ ما عند اللهِ خَيرٌ لِرسولِهِ ﷺ.

فَقالتْ: ما أبْكي أن لا أكُونَ أعْلَمُ أنَّ ما عند اللهِ خَيرٌ لِرسولِهِ ﷺ، ولكن أبْكي أنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ منَ السَّماءِ.

فَهَيَّجَتْهُما على البُكاءِ، فَجَعَلا يَبْكيانِ مَعَها[3].

وعن أبي هُريرة، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«منْ أشَدِّ أُمَّتي لي حُبًّا: ناسٌ يكونُونَ بعدي، يَوَدُّ أحَدُهُم لَوْ رَآني بأهلِهِ ومالِهِ»**[4].

---

(١) جمع الوسائل (٢/ ٢٠٩).

(٢) الرَّوضُ الأُنف (٧/ ٥٩٧).

(٣) رواه مسلم (٢٤٥٤).

(٤) رواه مسلم (٢٨٣٢).

فَكَيفَ يَكونُ حالُهُـم منَ الهَمِّ والحُزنِ والكَـربِ مَنْ كانُوا يُجالِسُـونَهُ ويُصلُّونَ خَلْفَهُ ويُجاهِدونَ مَعَهُ، ثُمّ فَقَدُوهُ بالمَوتِ؟!

«**وَما نَفَضْنا أيدِيَنا منَ التُّرابِ**» أي: وما نَفَضْنا أيدِيَنا عن تُرابِ القَبْرِ.

«**وَإنا لَفي دَفْنِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أي: في مُعالَجَةِ دَفْنِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**حَتَّى أنْكَرْنا قُلُوبَنا**» يُريدُ: أنَّهُم وجَدُوها تَغَيَّرَتْ عمَّا عَهِدُوهُ في حياتِهِ منَ الأُلْفَةِ والصَّفاءِ والرِّقَّةِ؛ لفُقدانِ ما كان يَمُدُّهُم بِهِ منَ التَّعليمِ والتَّأديبِ[١].

ولِفُقدانِهِـم بَرَكَةَ الصُّحبَةِ، وليس المُـرادُ أنَّهُم لَمْ يَجِدُوا قُلُوبَهُم على مـا كانَتْ عليه منَ التَّصديقِ؛ لأنَّ إيمانَهُم لَمْ يَنْقُصْ بوَفاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

عن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالتْ: «تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ الاِثْنَينِ»[٣].

قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكانَتْ وفاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يومِ الاثنَينِ في شَهْرِ ربيعٍ الأوَّلِ بغَيرِ خِلافٍ، ولكِنَّهُمُ اختلَفُوا في تَعيينِ ذلك اليومِ منَ الشَّـهرِ، فقيـلَ: كان أوَّلَهُ، وقيلَ: ثانيَه، وقيلَ: ثاني عَشرَه، وقيلَ: ثالِثَ عَشرَه، وقيلَ: خامِسَ عَشرَه، والمَشـهُورُ بينَ الناسِ أنَّه كان ثاني عَشرَ رَبيعٍ الأوَّلِ»[٤].

وقال العِراقيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والَّذي يَتَرَجَّحُ من حيث التَّاريخُ، قولُ مَنْ قال: يومَ الاِثْنَينِ ثانيَ عَشَرَ رَبيعٍ الأوَّل»[٥].

عـن جَعْفَـرِ بـنِ محمـدٍ، عـن أبيـه، قـال: «قُبِضَ رسـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يـومَ الاثْنَينِ، فَمَكَثَ ذلك اليومَ ولَيلَةَ الثُّلاثاءِ، ودُفِنَ منَ اللَّيلِ».

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٤٩).
(٢) مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٨٤٨).
(٣) رواه البخاري (١٣٨٧).
(٤) لَطائِفُ المَعارِفِ (ص ١٠٩).
(٥) طَرحُ التّثريبِ (١/ ٢٥).

وقال سُفْيانُ: وقال غَيرُهُ: «يُسْمَعُ صَوْتُ المَساحي من آخِرِ اللَّيلِ»[١].

«**جَعْفَر**» هو جَعْفَرٌ الصَّادِقُ.

«**محمد**» هو محمدٌ الباقِرُ بنُ عليِّ بنِ الحُسَينِ، وهو منَ التابِعينَ، فحَديثُهُ هنا مُرسَلٌ، ولكن له شواهِدُ.

«**قُبِضَ رسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يومَ الاثنَينِ**»:

اتَّفَقُوا على أنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تُوُفِّيَ يومَ الاثنَينِ كما سَبَقَ ذِكْرُهُ، ولَكِنَّهُم اختَلَفُوا في وقْتِ دَفْنِهِ.

«**مَكَــثَ**» أي: لَبِثَ «**ذلك اليومَ**» أي: يومَ الاثنَينِ، «**ولَيلَةَ الثُّلاثاءِ، ودُفِنَ منَ اللَّيلِ**» أي: لَيلَةَ الأربَعاءِ.

وأمَّا الغُسْلُ والكَفَنُ فحصَلَ يومَ الثلاثاءِ، «واختَلَفُوا في وقْتِ دَفْنِهِ، فقيلَ: دُفِنَ من لَيلَةِ الثلاثاءِ، وقيلَ: لَيلَةَ الأربَعاءِ»[٢]، وقيلَ غَيرُ ذلك.

وقال ابنُ عبد البَرِّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَأمَّا دَفْنُهُ يومَ الثُّلاثاءِ: فَمُخْتَلَفٌ فيهِ، فَمنْ أهلِ العِلْمِ بالسِّيَرِ مَــنْ يُصَحِّحُ ذلك، ومنْهُم مَنْ يقــولُ: دُفِنَ لَيلَةَ الأرْبِعاءِ، وقَدْ جــاءَ الوَجْهانِ في أحاديثَ بأسانيدَ صَحيحَةٍ»[٣].

وقال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: «المَشْــهُورُ عنِ الجُمْهُورِ: أنَّهُ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ تُوُفِّيَ يومَ الاِثْنَينِ، ودُفِنَ لَيلَةَ الأرْبِعاءِ»[٤].

وقال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُٱللَّهُ: «دُفِنَ لَيلَةَ الأرْبِعاءِ وسطَ اللَّيلِ، وقيلَ: ليلةَ الثّلاثاءِ، والأولُ أكثرُ»[٥].

«**يُسْمَعُ صَوْتُ المَساحي**»: جَمْعُ مِسْحاةٍ، وهيَ المِجرَفةُ منَ الحَديدِ.

---

(١) هذا مرسلٌ، ولكنْ له شَواهدُ، وصحَّحه الألباني في مختصر الشّمائِلِ.

(٢) لَطائفُ المَعارفِ (ص١١٠).

(٣) التّمهيدُ (٢٤/ ٣٩٦).

(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٥٢).

(٥) جامع الأصول (١٢/ ١١٠).

«منْ آخِرِ اللَّيلِ»:

وهُوَ لا يُنافي ما جاءَ من أنَّهُ وسَط اللَّيلِ؛ لأنَّ المُرادَ بالوَسَطِ: الجَوْفُ، أو كان الِابْتِداءُ منَ الوَسَطِ، وانْتَهَى إلى آخِرِ اللَّيلِ(١).

قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثُمَّ الوَجْهُ في تَأْخيرِ تَكْفينِهِ وتَدْفينِهِ مع أنَّ المُستَحبَّ تَعْجيلُ الدّفنِ: أنَّ النَّاسَ كانُوا أُمِّيِّينَ، لَمْ يَكُنْ فيهِم نَبيٌّ قَبْلَهُ، فَلَمَّا وقَعَتْ هذه المُصيبَةُ العُظْمَى، والبَلِيَّةُ الكُبْرَى، وقَعَ الِاضْطِرابُ بينَ الأصْحابِ، كَأنَّهُم أجْسادٌ بلا أرْواحٍ، وأجْسامٌ بلا عُقُولٍ، حتى إنَّ منْهُم مَنْ صارَ عاجِزًا عنِ النُّطْقِ، ومنْهُم مَنْ صارَ ضَعيفًا نَحيفًا، وبعضُهُم صارَ مَدْهُوشًا، وشَكَّ بعضُهُم في مَوْتِهِ، وكان مَحَلّ الخَوْفِ من هُجُومِ الكُفَّارِ، وتَوَهُّم وُقُوعِ المخالَفَةِ في أمْرِ الخِلافَةِ بينَ الأبْرارِ، فاشْتَغَلُوا بالأمْرِ الأهَمِّ، وهو البَيعَةُ؛ لِما يَتَرَتَّبُ على تَأْخيرِها منَ الفِتْنَةِ، وليكونَ لهم إمامٌ يَرْجِعُونَ إليه فيما ظَهَرَ لهم منَ القَضيَّةِ، فَنَظَرُوا في الأمْرِ، فَبايَعُوا أبا بَكْرٍ، ثُمَّ بايَعُوهُ بالغَدِ بَيعَةً أُخْرَى، وكَشَفَ اللهُ بِهِ الكُرْبَةَ من أهلِ الرِّدَّةِ، ثُمَّ رَجَعُوا إلى النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَسَّلُوهُ وصَلَّوْا عليه ودَفَنُوهُ بمُلاحَظَةِ رَأْيِ الصِّدِّيقِ»(٢).

قال الحافِظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما تُوفِّيَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اضطرَبَ المُسلِمونَ، فمنْهُم مَنْ دُهِشَ فخُولِطَ، ومنْهُم مَنْ أُقْعِدَ فَلَم يُطِقِ القيامَ، ومنْهُم مَنِ اعتُقِلَ لِسانُهُ فلَم يُطِقِ الكَلامَ، ومنْهُم مَنْ أنْكَرَ مَوْتَهُ بالكُلِّيَّةِ»(٣).

وقال أبو بَكْرِ بنُ العربيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واضْطَرَبَتِ الحالُ، ثُمَّ تدارَكَ اللهُ الإسلامَ ببَيعَةِ أبي بَكْرٍ، فكانَ مَوْتُ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاصِمَةَ الظَّهْرِ، ومُصيبَةَ العُمْرِ، فأمَّا عليٌّ فاستَخْفَى في بَيتِهِ مع فاطِمَةَ، وأمَّا عُثْمانُ فَسَكَتَ، وأمَّا عمرُ فأهْجَرَ وقال: «ما ماتَ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، واضطرَبَ أمرُ الأنصارِ، يَطْلُبُونَ الأمرَ لأنفُسِهِم، أو الشَّراكَةَ فيه مع المهاجرينَ، وانقَطَعَتْ قُلُوبُ الجَيشِ الذي كان قد بَرَزَ مع أُسامَةَ بنِ زَيدٍ بالجُرْفِ»(٤).

---

(١) جمع الوسائل (٢/ ٢١٠).

(٢) المرجع السابق، بتصرف يَسيرٍ.

(٣) لَطائفُ المَعارِف (ص١١٠).

(٤) العَواصمُ منَ القَواصِمِ (ص٥٤-٥٩).

وفي هذا الحديثِ: إباحَةُ الدَّفنِ باللَّيلِ، وعلى إجازَتِهِ أكْثَرُ العُلماءِ وجماعَةُ الفُقَهاءِ؛ لأنَّ اللَّيلَ ليس فيه وقْتٌ تُكرَهُ فيه الصَّلاةُ[1].

وفيهِ أيضًا: جَوازُ تأخيرِ دَفْنِ المَيِّتِ للحاجَةِ؛ كمُراعاةِ حضُورِ قريبِهِ أو ما أشْبَهَ ذلك، مع أنَّ الأفضَلَ التَّعجيلُ في تَجْهيزِ المَيِّتِ.

عن سالمِ بنِ عُبَيدٍ -وكانَتْ له صُحْبَةٌ- قال: «أُغْمِيَ على رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مَرَضِه، فأفاقَ فقال: «حَضَرَتِ الصَّلاةُ؟»، فَقالوا: نَعَم، فقال: «مُرُوا بلالًا فَلْيُؤَذِّنْ، ومُرُوا أبا بَكْرٍ أن يُصَلِّيَ للنَّاسِ» -أوْ قال: «بالنَّاسِ»- قال: ثُمَّ أُغْمِيَ عليه، فأفاقَ فقال: «حَضَرَتِ الصَّلاةُ؟»، فَقالوا: نَعَم، فقال: «مُرُوا بلالًا فَلْيُؤَذِّنْ، ومُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ»، فَقالتْ عائشَةُ: إنَّ أبي رَجُلٌ أسيفٌ، إذا قامَ ذلك المَقامَ بَكَى فلا يَسْتَطيعُ، فلو أمَرْتَ غَيرَهُ، قال: ثُمَّ أُغْمِيَ عليه، فأفاقَ فقال: «مُرُوا بلالًا فَلْيُؤَذِّنْ، ومُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ، فإنَّكُنَّ صَواحِبُ -أوْ صَواحِباتُ- يُوسُفَ»، قال: فأُمِرَ بلالٌ فأذَّنَ، وأُمِرَ أبو بَكْرٍ فَصَلَّى بالنَّاسِ، ثُمَّ إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجَدَ خِفَّةً، فقال: «انْظُرُوا لي مَنْ أتَّكِئُ عليه»، فَجاءَتْ بَريرَةُ ورَجُلٌ آخَرُ فاتَّكَأ عليهما، فَلَمَّا رَآهُ أبو بَكْرٍ ذَهَبَ لينْكُصَ، فأوْمَأ إليه أن يَثْبُتَ مَكانَهُ، حتى قَضَى أبو بَكْرٍ صَلاتَهُ، ثُمَّ إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قُبِضَ، فقال عمرُ: واللهِ لا أسْمَعُ أحَدًا يَذْكُرُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قُبِضَ إلا ضَرَبْتُهُ بسَيفي هذا، قال: وكان النَّاسُ أُمِّيِّينَ، لَم يَكُنْ فيهم نَبيٌّ قَبْلَهُ، فأمْسَكَ النَّاسُ، فَقالوا: يا سالمُ، انْطَلِقْ إلى صاحِبِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فادْعُهُ، فأتَيتُ أبا بَكْرٍ وهو في المَسْجِدِ، فأتَيتُهُ أبْكي دَهِشًا، فَلَمَّا رَآني قال: أقُبِضَ رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ قلت: إنَّ عمرَ يقولُ: لا أسْمَعُ أحَدًا يَذْكُرُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قُبِضَ إلا ضَرَبْتُهُ بسَيفي هذا، فقال لي: انْطَلِقْ، فانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَجاءَ هو والنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا على رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: يا أيُّها النَّاسُ أفْرِجُوا لي، فأفْرَجُوا لَهُ، فَجاءَ حتى أكَبَّ عليه ومَسَّهُ،

(١) الاسْتِذكارُ (٣/ ٥٦).

فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ثُمَّ قالوا: يا صاحِبَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أقُبِضَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: نَعَم، فَعَلِمُوا أن قَدْ صَدَقَ، قالوا: يا صاحِبَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أيُصَلَّى على رسولِ اللهِ؟ قال: نَعَم، قالوا: وكَيفَ؟ قال: يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ ويُصَلُّونَ ويَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْمٌ فَيُكَبِّرُونَ ويُصَلُّونَ ويَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، حتى يَدْخُلَ النَّاسُ، قالوا: يا صاحِبَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أيُدْفَنُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: نَعَم، قالوا: أينَ؟ قال: في المكانِ الذي قَبَضَ اللهُ فيه رُوحَهُ؛ فإنَّ اللهَ لَم يَقْبِضْ رُوحَهُ إلا في مَكانٍ طَيِّبٍ، فَعَلِمُوا أن قَدْ صَدَقَ، ثُمَّ أمَرَهُم أن يَغْسِلَهُ بَنُو أبيهِ، واجْتَمَعَ المُهاجِرُونَ يَتَشاوَرُونَ، فَقالوا: انْطَلِقْ بنا إلى إخْوانِنا منَ الأنْصارِ نُدْخِلْهُم مَعَنا في هذا الأمْرِ، فَقالتِ الأنْصارُ: منَّا أميرٌ ومنْكُم أميرٌ، فقال عمرُ بنُ الخَطَّابِ: مَنْ له مِثْلُ هذه الثَّلاثِ: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، مَنْ هُما؟ قال: ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَبايَعَهُ، وبايَعَهُ النَّاسُ بَيعَةً حَسَنَةً جَميلَةً»[1].

«عَنْ سالِمِ بنِ عُبَيدٍ»:

قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سالمُ بنُ عُبَيدٍ الأشجَعيُّ، صَحابيٌّ من أهلِ الصُّفَّةِ»[2].

«أُغمِيَ على رسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»:

قال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصْلُ التَّغْمِيَة: السَّتْرُ والتَّغْطِيَة، ومنْهُ: أُغْمِيَ على المَريضِ إذا غُشِيَ عليه، كَأنَّ المَرَضَ سَترَ عَقْلَه وغَطَّاهُ»[3].

«في مَرَضِهِ» الذي تُوُفِّيَ فيهِ.

«فأفاقَ» أي: فرَجَعَ إلى ما كان قَدْ شُغِلَ عَنْهُ.

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٧٠٨١)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٣٣٣).

(٢) التقريب (ص٢٢٧).

(٣) النهاية (٣/ ٣٨٩).

وفيهِ: أنَّ الإغـــماءَ جائِزٌ على الأنبياءِ؛ لأنَّه شَـــبيهٌ بالنَّوْمِ، بخِلافِ الجُنُـــونِ فإنَّهُ لا يَجُوزُ عليهم؛ لأنَّه نَقْصٌ[1].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلا شَـــكَّ في جَوازِهِ فإنَّهُ مَرَضٌ، والمَرَضُ يَجُوزُ عليهم، بخِلافِ الجُنُـــونِ فإنَّهُ لا يَجُوزُ عليهم لأنَّهُ نَقْصٌ، والحِكْمَةُ في جَـــوازِ المَرَضِ عليهم ومَصائِبِ الدُّنْيا تَكْثيرُ أجْرِهِم، وتَسْـــلِيَةُ النَّاسِ بِهِم، ولِئَلَّا يَفْتَتِنَ النَّاسُ بِهِم ويَعْبُدُوهُم؛ لِما يَظْهَرُ عليهم منَ المُعْجِزاتِ والآياتِ البَيِّناتِ، واللهُ أعلمُ»[2].

«**فَقال: حَضَرَتِ الصَّلاةُ؟**»:

وفي هذا: شِدَّةُ عِنايَةِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأمْرِ الصَّلاةِ وإقامَتِها.

«**فقالوا: نَعَم، فقال: مُرُوا بلالًا فَلْيُؤَذِّنْ، ومُرُوا أبا بَكْرٍ أن يُصَلِّيَ للنَّاسِ**) أي: إمامًا لَهُم.

«**قال: ثُمَّ أُغمـــيَ عليه، فأفاقَ فقال: حَضَرَتِ الصَّلاةُ؟ فقالـــوا: نَعَم، فقال: مُرُوا بلالًا فَلْيُؤَذِّنْ، ومُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ، فقالتْ عائِشَةُ: إنَّ أبي رَجُلٌ أسيفٌ**»:

«أسيفٌ» بوَزْنِ فَعيلٍ، وهو بمعنى فاعِلٍ، منَ الأسَفِ وهو شِدَّةُ الحُزْنِ، والمُرادُ: أنَّه رَقيقُ القَلْبِ[3].

وفي روايَةٍ: «قلت: إنَّ أبا بَكْرٍ إذا قامَ في مقامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ منَ البُكاءِ»[4].

أي: لَمْ يَستطعْ أن يُسْمِعَ النَّاسَ من شِدَّةِ البُكاءِ[5].

«**إذا قـــامَ ذلك المَقامَ بَكَى**»؛ حزنًا عليكَ؛ لأنّه لا يُطيقُ أن يُشـــاهِدَ مَحَلَّكَ خاليًا منْكَ[6]، ولِتَدَبُّرِهِ للقُرآنِ.

---

(١) فتح الباري (٢/ ١٧٤)

(٢) شرح مسلم (٤/ ١٣٦).

(٣) فتح الباري (٢/ ١٥٣).

(٤) رواه البخاري (٦٧٩).

(٥) تحفة الأحوذي (١٠/ ١٠٧).

(٦) المواهب اللدنية (ص٦٥٩).

«**فَلا يَستَطيعُ**» القِراءَةَ «**فَلَوْ أَمَرْتَ غَيرَه**»؛ للقيامِ بهذا الأمْرِ لكانَ حَسَنًا.

فيهِ: دَلالَةٌ على رِقَّةِ قَلْبِ أبي بَكْرٍ، وشِدَّةِ خَوْفِهِ وخَشْيَتِهِ من رَبِّهِ، وما كان عليه منَ الرَّحمَةِ والشَّفَقَةِ.

«**قال: ثُمَّ أُغْمِيَ عليه فأفاقَ، فقال: «مُرُوا بلالًا فَلْيُؤَذِّنْ، ومُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ، فإنَّكُنَّ صَواحِبُ -أوْ صَواحِباتُ- يُوسُفَ**»:

وفي روايةٍ عند البُخاريِّ: قالتْ عائِشَةُ: قُلْتُ إنَّ أبا بَكْرٍ إذا قامَ في مَقامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ منَ البُكاءِ، فَمُرْ عمرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقالتْ عائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولي له: إنَّ أبا بَكْرٍ إذا قامَ في مَقامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ منَ البُكاءِ، فَمُرْ عمرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، ففَعَلَتْ حَفْصَةُ، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَهْ! إنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَواحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ**»، فَقالتْ حَفْصَةُ لِعائِشَةَ: ما كُنْتُ لِأُصيبَ منْكِ خَيرًا[1].

قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّما قالتْ حَفْصَةُ ذلك؛ لأن كَلامَها صادَفَ المَرَّةَ الثَّالِثَةَ منَ المُعاوَدَةِ، وكان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُراجَعُ بعدَ ثَلاثٍ، فَلَمَّا أشارَ إلى الإنْكارِ عليها بما ذَكَرَ من كَوْنِهِنَّ صَواحِبَ يُوسُفَ، وجَدَتْ حَفْصَةُ في نَفْسِها من ذلك؛ لِكَوْنِ عائِشَةَ هيَ التي أمَرَتْها بذلك، ولعلَّها تَذَكَّرَتْ ما وقَعَ لَها مَعَها -أيضًا- في قِصَّةِ المَغافيرِ»[2].

قَولُهُ: «**فإنَّكُنَّ صَواحِبُ**»: جَمْعُ صاحِبَةٍ، «أو صَواحِباتٌ»: جَمْعُ صَواحِبَ، فهو جَمْعُ الجَمْعِ[3].

والمُرادُ بقولِهِ: «صَواحِب يُوسُفَ»: أنَّهُنَّ مِثْلُ صَواحِبِ يُوسُفَ في إظهارِ خِلافِ ما في الباطِنِ، ثمَّ إنَّ هذا الخِطابَ وإنْ كان بلَفْظِ الجَمْعِ فالمُرادُ بِهِ واحِدٌ، وهيَ عائِشَةُ فَقَط، كما أنَّ صواحِبَ صيغَةُ جَمْعٍ والمُرادُ: «زُلَيخا» فَقَط، ووَجْهُ المُشابَهَةِ بينَهُما في ذلك: أنَّ «زُلَيخا» اسْتَدْعَتِ النِّسْوَةَ وأظْهَرَتْ لَهُنَّ الإكْرامَ بالضِّيافَةِ، ومُرادُها زيادَةٌ على ذلك، وهو أن يَنْظُرْنَ إلى حُسْنِ يُوسُفَ ويَعْذُرْنَها في مَحَبَّتِهِ، وأنَّ عائِشَةَ أظْهَرَتْ أنَّ سَبَبَ إرادَتِها صَرْفَ الإمامَةِ عن أبيها كَوْنهُ لا يُسْمِعُ المَأْمُومينَ القِراءَةَ لِبُكائِهِ، ومُرادُها زيادَةٌ على ذلك، وهو أن لا يَتَشاءَمَ

(١) صحيح البخاري (٦٧٩)، وهو في مسلم أيضًا (٤١٨)، بنحوه.

(٢) فتح الباري (٢/ ١٥٣).

(٣) جمع الوسائل (٢/ ٢١٢).

النَّاسُ بِهِ، وقَدْ صَرَّحَتْ هيَ فيما بعدَ ذلك، فَقالتْ: «لَقَدْ راجَعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ذلك، وما حَمَلَني على كَثْرَةِ مُراجَعَتِهِ إلا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ في قَلْبي أن يُحِبَّ النَّاسُ بعدَهُ رَجُلًا قامَ مَقامَهُ أبَدًا، ولا كُنْتُ أرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ أحَدٌ مَقامَهُ إلا تَشاءَمَ النَّاسُ بِهِ، فأرَدْتُ أن يَعْدِلَ ذلك رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن أبي بَكْرٍ»(١).

وقال ابنُ الملقّنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قولُه: «صَواحِبُ يُوسُفَ» قيلَ: يُريدُ جِنسَ النّساءِ، وقيلَ: امْرأةَ العَزيزِ، وأتَى بلفظِ الجَمعِ، كما يُقال: «فلانٌ أتَى النّساءَ»، ولعلَّه إنما مالَ إلى واحدةٍ منهنَّ، فَذكَّرهُما بفسادِ رأيِ مَن تَقدّمَ من جِنسِهنَّ، فإنَّهنَّ دَعوْنَ إلى غَيرِ صوابٍ مِثلهما»(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّكُنَّ لَأنْتُنَّ صَواحِبُ يُوسُفَ» أي: في التَّظاهُرِ على ما تُرِدْنَ، وكَثْرَةِ إلْحاحِكُنَّ في طَلَبِ ما تُرِدْنَهُ وتَمِلْنَ إليه»(٣).

«قال: فأُمِرَ بلالٌ فأذَّنَ، وأُمِرَ أبو بَكْرٍ فصَلَّى بالنَّاسِ»:

وعندَ البُخاريِّ: «فصلَّى أبو بَكْرٍ تِلكَ الأيامَ»(٤).

«ثُمَّ إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجَدَ خِفَّةً، فقال: «انظُرُوا ليَ مَنْ أتَّكِئُ عليه» أي: لأخْرُجَ إلى الصَّلاةِ، **«فجاءَتْ بَريرَةُ»** وهيَ جاريَةٌ لعائِشَةَ، **«ورَجُلٌ آخَرُ، فاتَّكَأ عليهما»:**

وفي الحديثِ الآخَرِ: «بينَ رَجُلَينِ»(٥)، وفي روايَةٍ: «أنَّهُمَا العَبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وعليُّ ابنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا»(٦)، وفي روايَةٍ: «بيَن الفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ وعليٍّ»(٧)، وفي روايَةٍ: «بَين بَريرَةَ ونُوبَة»(٨).

---

(١) رواه البخاري (٤٤٤٥)، ومسلم (٤١٨)، وينظر: فتح الباري (٢/ ١٥٣).
(٢) التوضيح (٣٣/ ٦١).
(٣) شرح مسلم (٤/ ١٤٠).
(٤) رواه البخاري (٦٨٧).
(٥) رواه البخاري (١٩٨)، ومسلم (٤١٨).
(٦) رواه البخاري (٦٦٥)، ومسلم (٤١٨).
(٧) رواه مسلم (٤١٨).
(٨) رواه ابنُ حبّان (٢١١٨)، وسَنَدُه حَسنٌ، ونُوبَة: هو نُوبَة الأسْوَد، مَولى رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وظاهِرُ هذه الرواياتِ التَّعارُضُ، قال الحافِظُ: «يُجمَعُ بينَها -كما قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: بأنَّه خَرَجَ منَ البَيتِ إلى المَسجِدِ بينَ هذَين، ومن ثمَّ إلى مَقامِ الصَّلاةِ بينَ العبَّاسِ وعليٍّ، أو يُحمَلُ على التَّعدُّدِ، ويَدُلُّ عليه ما في روايَةِ الدَّارَقُطْنيِّ: أنَّه خرَجَ بينَ أسامَةَ بنِ زَيدٍ، والفَضلِ بنِ العبَّاسِ[1]، وأمَّا ما في مُسلِمٍ: أنَّه خرَجَ بيَن الفضلِ بنِ العبَّاسِ، وعليٍّ، فذاكَ في حالِ مجيئِهِ إلى بَيتِ عائِشَةَ»[2].

«**فلمَّا رآهُ أبو بَكْرٍ ذَهَبَ**» أي: شرَعَ وقَصَدَ، «**لينكُصَ**» النُّكُوصُ: الرُّجوعُ إلى وراء.

وفي الصّحيحينِ: «فَلَمَّا رَآهُ أبو بَكْرٍ ذَهَبَ ليَتَأَخَّرَ»[3]، وفي روايَةٍ عند البُخاريِّ: «فأرادَ أبو بَكْرٍ أن يَتَأَخَّرَ»[4]، وعند ابن ماجه: «فَلَمَّا رَآهُ النَّاسُ سَبَّحُوا بأبي بَكْرٍ، فَذَهَبَ ليَسْتَأْخِرَ»[5].

وفي هـذا ما كان عليه أبو بَكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ منَ الأدَبِ الجَمِّ مع مُرَبِّيهِ ومُعَلِّمِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّه لمَّا شَعرَ بدُخُولِهِ المَسجِدَ أرادَ أن يَتَأَخَّرَ؛ ليتقَدَّمَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**فأوْمَأ إليه**» أي: أشارَ إليه «**أنْ يَثْبُتَ مكانَهُ**» وفي روايَةٍ في الصّحيحَينِ: «فأوْمَأ إليه بأنْ لا يَتَأَخَّرَ».

«**حتَّى قَضَى أبو بَكْرٍ صَلاتَهُ**» أي: حتى أتَمَّ أبو بَكْرٍ صَلاتَه.

«**ثمَّ إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ**»:

وكان أبو بَكْرٍ غائِبًا بالعالِيَةِ، وذلك بعدَ إذنِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في الذَّهابِ[6].

«**فقال عمر: واللهِ لا أسمَعُ أحدًا يَذكُرُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ إلا ضَرَبْتُهُ بسَيفي هذا**»:

وفي روايةٍ: فَقامَ عمرُ فقال: «إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ، ولَكِنَّ رَبَّهُ أرْسَلَ إليه

(١) رواه الدَّارقطنيّ (١٥٠٠)، بسنَدٍ ضَعيفٍ.
(٢) فتح الباري (٢/ ١٥٤).
(٣) رواه البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٤١٨).
(٤) صحيح البخاري (٦٦٤).
(٥) سنن ابن ماجه (١٢٣٥)، وحسنه الحافظ، وكذا حسنه الألباني.
(٦) يُنظَر: عمدة القاري (١٦/ ١٨٥).

كما أرْسَلَ إلى مُوسَـــى، فَمَكَثَ عن قَوْمِهِ أرْبَعينَ لَيلَةً، واللهِ إنِّي لَأرْجُو أن يَعيشَ رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى يَقْطَعَ أيدي رِجالٍ منَ المُنافِقينَ وألْسِنَتَهُم يَزْعُمُونَ -أوْ قال: يقولُونَ-: إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَدْ ماتَ»[1].

قال الهَيتميُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «كانَ الحاملُ له على هذه المقالةِ: ما ظَنَّه أنَّ ما عَرَضَ له صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنّما هو الغَشْيُ، أو ذُهولُه عن حِسِّهِ، فأحالَ المَوتَ عليه، وخوفَهُ وُقوعَ فِتنةٍ»[2].

قـــال: «وكان النَّاسُ» أي: العَرَبُ **«أُمِّيِّينَ»**؛ لِقَولِـــه تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْـلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢].

قال القاري رَحِمَهُٱللَّهُ: «والحاصِلُ: أنَّ كُلًّا منَ القِراءَةِ والكِتابَةِ كانَتْ فيهِم قَليلَةً نادِرَةً، فإذا لَمْ يَتَعَلَّمُوا الكُتُبَ ولَمْ يَقْرَءُوها، حتى يَعْرِفُوا حَقائِقَ الأُمُورِ، ولا يُذْهِلَهُم عَظائِمُ المِحَنِ عند وُقُوعِ الفِتَنِ، فلا جَرَمَ تَحَيَّرُوا في أمْرِ مَوْتِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ إذْ سَـــبَبُ العِلْمِ بجَوازِ مَوْتِ الأنْبياءِ وكَيفيَّةِ انْتِقالِهِم إلى دارِ الجَزاءِ، إنَّما هو المُمارَسَةُ بالمُدارَسَةِ أوِ المُشاهَدَةِ، ولِذا قال «لَمْ يَكُنْ فيهِم نَبيٌّ قَبْلَهُ، فأمْسَكَ النَّاسُ» أي: أنْفُسَهُم عنِ القولِ بأنَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ماتَ»[3].

«فقالوا: يا سالِمُ انطَلِقْ إلى صاحِبِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فادْعُه»:

والمَقصُودُ بصاحِبِهِ: أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **قال القاري** رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَفي العُدُولِ عنِ اسْمِهِ بوَصْفِهِ إشْـــعارٌ بأنَّهُ خاصٌّ بهذا المعنى، خُصُوصيَّةً زائِدَةً، مُسْـــتَفادَةً من مُداوَمَةِ مُلازَمَتِهِ، وحُسْنِ مُجالَسَتِهِ»[4].

«فأتَيتُ أبا بَكْرٍ وهو في المَسْجِدِ» أي: مَسجِدِ مَحَلَّتِه التي كان فيها، وهو بالعَوالي، والظَّاهِرُ أنَّه وقتُ صَلاةِ الظُّهرِ؛ لأنَّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ماتَ ضُحًى.

---

(١) رواه أحمدُ (١٣٠٢٨)، وصححه محققو المسند على شرط الشيخين.

(٢) أشرف الوسائل (ص ٥٧٨).

(٣) جمع الوسائل (٢/ ٢١٤).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٢١٥).

«**فأتَيتُه أبكي دَهِشًا**» أي: حالَ كَوْني باكيًا مَدهُوشًا متحيِّرًا[١].

«**فلمَّا رآني قال: أقُبِضَ رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟!**»:

لِما فَهِمَهُ من حالِهِ، فذَكَرَ له مَقولةَ عُمــرَ، فانْطلَقَ أبو بَكرٍ، فجاءَ والنَّاسُ قَدْ دَخلُوا على رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدْ أحدَقُوا بهِ، فقال: «يا أيُّها النَّاسُ أفرِجُوا لي»، فأفْرَجُوا لَه، فجاءَ حتى أكَبَّ عليه وقبَّلَهُ، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

«**ثمَّ قالوا: يا صاحِبَ رسولِ اللهِ، أقُبِضَ رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ قال: نَعَم، فعَلِمُوا أن قَدْ صَدَقَ**»؛ لأنَّه صِدِّيقُ هذه الأمَّةِ، ولِعِلْمِهِم أنَّه ما كَذَبَ في حياتِهِ قَطُّ.

«**قالوا: يا صاحِبَ رسولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أيُصلَّى على رسولِ اللهِ؟ قال: نَعَم**»:

لِمُشارَكَتِه لأُمَّتِه في الأحكامِ، إلا ما خَرَجَ منَ الخُصُوصيَّاتِ لدَليلٍ.

«**قالوا: وكَيفَ؟ قال: يَدخُلُ قَومٌ فَيُكَــبِّرُونَ ويُصَلُّونَ ويَدعُونَ، ثمَّ يَخرُجُونَ، ثمَّ يَدخُلُ قومٌ فيُكَبِّرُونَ ويُصَلُّونَ ويَدْعُونَ، ثمَّ يَخرُجُونَ، حتى يَدْخُلَ النَّاسُ**»:

أي: وهكذا، حتى يُصَلِّيَ الناسُ عليه جَميعًا.

ولَم يَؤُمَّ الناسَ على رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحَدٌ.

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الصَّنيعُ، وهو صلاتُهُم عليه فُرادَى لَم يَؤُمَّهُم أحَدٌ عليه، أمرٌ مُجمَعٌ عليه، لا خِلافَ فيهِ»[٢].

«**قالوا: يا صاحِبَ رسولِ اللهِ، أيُدْفَنُ رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ قال: نَعَمْ**»:

أي: يُدفَنُ في الأرْضِ؛ لقولِه تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، ولأنَّه من سُنَنِ سائِرِ الأنبياءِ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٣٤).

«قالوا: أينَ؟ قال: في المَكانِ الذي قَبَضَ اللهُ فيه رُوحَه؛ فإنَّ اللهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَه إلا في مَكانٍ طَيِّبٍ»:

أي: يَطيبُ له المَوتُ بِهِ، ويُحِبُّ أن يُدفَنَ فيهِ، وقدْ تقدّمَ حَديثُ: **«ما قَبَضَ اللهُ نَبيًّا إلا في المَوْضِعِ الذي يُحِبُّ أن يُدْفَنَ فيهِ»**.

«فعَلِمُوا أن قَدْ صَدَقَ»: وبِهذا تَبَيَّنَ كمالُ عِلْمِهِ وفَضْلِهِ وإحاطَتِهِ بكِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

«ثمَّ أمَرَهُم أن يُغَسِّلَهُ بَنُو أبيهِ» أي: أمَرَ النَّاسَ أن يُمَكِّنُوا بني أبيهِ من غسْلِهِ، وهُم عصبتُهُ منَ النّسبِ، ولا يُنافي هذا مُساعَدَة غَيرِهِم في تَغسيلِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[1].

وعن ابنِ عَبَّاسٍ، قال: «لَمَّا اجْتَمَعَ القَوْمُ لِغَسْلِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وليس في البَيتِ إلا أهلُهُ: عَمُّهُ العَبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وعليُّ بنُ أبي طالِبٍ، والفَضْلُ بنُ العَبَّاسِ، وقُثَمُ بنُ العَبَّاسِ، وأُسامَةُ بنُ زَيدِ بنِ حارِثَةَ، وصالِحٌ مَوْلاهُ...»[2].

وقَد أشكلَ عليهم عند غُسْلِهِ: هَلْ يُجَرِّدُونَه من ثيابِه، أو يُغَسِّلُونَه فيها؟

فعنْ عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالتْ: «لَمَّا أرادُوا غَسْلَ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالوا: واللهِ ما نَدْري أنُجَرِّدُ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من ثيابِهِ كما نُجَرِّدُ مَوْتانا، أم نَغْسِلُهُ وعليه ثيابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللهُ عليهِمُ النَّوْمَ، حتى ما منْهُم رَجُلٌ إلا وذَقْنُهُ في صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُم مُكَلِّمٌ من ناحيَةِ البَيتِ لا يَدْرُونَ مَنْ هو: «أنْ اغْسِلُوا النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعليه ثيابُهُ»، فَقامُوا إلى رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَغَسَلُوهُ وعليه قَميصُهُ، يَصُبُّونَ الماءَ فَوْقَ القَميصِ، ويُدَلِّكُونَهُ بالقَميصِ دُونَ أيديهِمْ».

وكانَتْ عائِشَةُ تَقُولُ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ من أمْري ما اسْتَدْبَرْتُ، ما غَسَلَهُ إلا نِساؤُهُ»[3].

---

(١) يُنظَر: جمع الوسائل (٢/ ٢١٧)، أشرف الوسائل (ص ٥٨٣)، المواهب اللدنية (ص٦٦٤ -٦٦٥)

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٣٥٧)، وحسنه محققو المسند لغيره.

(٣) رواه أبو داود (٣١٤١)، وصححه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢٤٢).

وعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفِّنَ في ثَلاثَةِ أثْوابٍ يَمانيَةٍ بيضٍ، سَحُوليَّةٍ[١]، من كُرْسُفٍ[٢]، ليس فيهِنَّ قَميصٌ ولا عِمامَةٌ»[٣].

«**واجتَمَعَ المُهاجِرُونَ يتَشاوَرُونَ، فقالوا**» لأبي بَكْرٍ: «**انطَلِقْ بنا إلى إخوانِنا منَ الأنصارِ نُدخِلهُم مَعَنا في هذا الأمْرِ**» أي: التّشاورِ في الخِلافَةِ[٤].

فانطَلَقُوا إليهم وهُم مُجتَمِعُونَ في سَقيفَةِ بَني ساعِدَةَ، فلَمَّا وصَلُوا إليهم، وتكلَّمُوا في أمْرِ الخِلافَةِ، قالتِ الأنصارُ: «**منَّا أميرٌ ومنْكُم أميرٌ**»، وفي البُخاريِّ من حَديثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «... ثُمَّ تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ فتَكَلَّمَ أبْلَغَ النَّاسِ[٥]، فقال في كَلامِهِ: نَحْنُ الأُمَراءُ وأنْتُمُ الوُزَراءُ، فقال حُبابُ بنُ المُنْذِرِ: لا واللهِ لا نَفْعَلُ، منَّا أميرٌ ومنْكُم أميرٌ، فقال أبو بَكْرٍ: لا، ولَكِنَّا الأُمَراءُ وأنْتُمُ الوُزَراءُ، هُم أوْسَطُ العَرَبِ دارًا، وأعْرَبُهُم أحْسابًا، فَبايِعُوا عمرَ أو أبا عُبَيدَةَ بنَ الجَرَّاحِ، فقال عمرُ: بل نُبايِعُكَ أنْتَ، فأنْتَ سَيِّدُنا وخَيرُنا وأحَبُّنا إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخَذَ عمرُ بيَدِهِ فَبايَعَهُ»[٦].

«**فقال عمرُ بنُ الخَطَّابِ: مَنْ له مِثْلُ هذه الثَّلاثَةِ؟**» أي: مَنْ ثَبَتَ له مِثْلُ هذه الفضائِلِ الثلاثَةِ التي ثَبَتَتْ لأبي بَكْرٍ؟ وهو استِفهامٌ إنكاريٌّ قُصِدَ بِهِ الرَّدُّ على الأنصارِ، حيث تَوَهَّمُوا أنَّ لهم حقًّا في الخِلافَةِ.

والمعنى: هَلْ رَجُلٌ ورَدَ في شَأْنِهِ مِثْلُ هذه الفَضائِلِ في قَضيَّةٍ واحِدَةٍ لَهُ، مع قَطْعِ النَّظَرِ عن سائِرِ مَحاسِنِ الشَّمائِلِ؟

---

(١) يُرْوى بفتح السِّين وضمِّها، فالفَتْحُ منسوبٌ إلى السَّحُولِ، وهو القَصَّار؛ لأنَّهُ يَسْحَلُها: أي يغسِلُها، أو إلى سَحُولٍ وهيَ قريةٌ باليَمَنِ، وأمَّا الضَّمُّ: فهو جمعُ سَحْلٍ، وهو الثَّوب الأبيضُ النَّقيّ. النهاية (٢/ ٣٤٧).

(٢) أي: من قطن.

(٣) رواه البخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١).

(٤) المواهب اللدنية (ص٦٦٦).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٠): «بِنَصْبِ (أبْلَغَ) على الحالِ، ويُجوزُ الرَّفْعُ على الفاعِليَّةِ، أي: تَكَلَّمَ رَجُلٌ هذه صِفَتُهُ. وقال السُّهَيليُّ: «النَّصْبُ أوْجَهُ؛ ليكونَ تَأْكيدًا لِمَدْحِهِ، وصَرْفِ الوَهَمِ عن أن يكونَ أحَدٌ مَوْصُوفًا بذلك غَيره».

(٦) رواه البخاري (٣٦٦٨).

فالفَضيلَةُ الأُولى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، فذُكِرَ مع رسُولِه بضَميرِ التَّثنيَةِ.

والفَضيلَةُ الثانيَةُ: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾ [التوبة: ٤٠]، فسَمَّاهُ صاحِبَهُ.

والفضيلَةُ الثالِثَةُ: إثباتُ المعيَّةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فثُبُوتُ هذه الفضائِلِ يُؤذِنُ بأحقيَّتِه بالخِلافَةِ[(١)].

قولُه: «**مَنْ هُما؟**»:

«أي: مَنِ الِاثْنانِ المَذْكُورانِ في هذه الآيَةِ المُتَضَمِّنَةِ لَهُما؟ والِاسْتِفْهامُ لِلتَّعْظيمِ والتَّقْريرِ»[(٢)].

وعن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «لَمَّا قُبِضَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالتِ الأنْصارُ: منَّا أميرٌ ومنْكُم أميرٌ، فأتاهُم عمرُ فقال: يا مَعْشَرَ الأنْصارِ، ألَسْتُم تَعْلَمُونَ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أمَرَ أبا بَكْرٍ أن يَؤُمَّ النَّاسَ؟ فأيُّكُم تَطيبُ نَفْسُهُ أن يَتَقَدَّمَ أبا بَكْرٍ؟ فَقالتِ الأنْصارُ: نَعُوذُ باللهِ أن نَتَقَدَّمَ أبا بَكْرٍ»[(٣)].

«**قال: ثمَّ بَسَطَ يَدَهُ**» أي: مَدَّ عمرُ يَدَهُ، «**فبايَعَهُ**» أي: بايَعَ أبا بَكْرٍ.

«**وبايَعَهُ النَّاسُ بَيعَةً حسَنَةً جميلَةً**»؛ لوُقُوعِها عن ظُهُورٍ واتِّفاقٍ من أهلِ الحَلِّ والعَقدِ، لا إكراهًا ولا إجبارًا، ولا تَرغيبًا ولا تَرهيبًا.

وروى الحاكِمُ، أنَّ أبا بَكْرٍ قامَ فَخَطَبَ النَّاسَ واعْتَذَرَ إليهم، وقال: «واللهِ ما كُنْتُ حَريصًا على الإمارَةِ يومًا ولا لَيلَةً قَطُّ، ولا كُنْتُ فيها راغِبًا، ولا سَأَلْتُها اللهَ عَزَّوَجَلَّ في سِرٍّ ولا عَلانيَةٍ، ولَكِنِّي أشْفَقْتُ منَ الفِتْنَةِ، وما لي في الإمارَةِ من راحَةٍ، ولكن قُلِّدْتُ أمْرًا عَظيمًا ما لي بِهِ من طاقَةٍ ولا يَدٍ، إلا بتَقْويَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ولَوَدِدْتُ أنَّ أقْوَى النَّاسِ عليها مَكاني اليومَ».

فَقَبِلَ المُهاجِرُونَ منه ما قال وما اعْتَذَرَ بِهِ.

---

(١) أشرف الوسائل (ص٥٨٥)، جمع الوسائل (٢/ ٢٢٠)، المواهب اللدنية (ص٦٦٧).

(٢) جمع الوسائل (٢/ ٢٢٠).

(٣) رواه أحمد (١٣٣)، والنسائي (٧٧٧)، وحسنه محققو المسند

قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والزُّبَيرُ: «ما غَضِبْنا إلا لأنَّا قَدْ أُخِّرْنا عنِ المُشاوَرَةِ، وإنَّا نَرى أبا بَكْرٍ أحَقَّ النَّاسِ بها بعدَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنَّهُ لِصاحِبُ الغارِ، وثانيَ اثْنَينِ، وإنَّا لَنَعْلَمُ بشَرَفِهِ وكِبَرِهِ، ولَقَدْ أمَرَهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصَّلاةِ بالنَّاسِ وهو حَيٌّ»[١].

عن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لَمَّا وجَدَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كَرْبِ المَوْتِ ما وجَدَ، قالتْ فاطِمَةُ: واكَرْباهُ! فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا كَرْبَ على أبيكِ بعدَ اليومِ، إنَّهُ قَدْ حَضَرَ من أبيكِ ما ليس بتارِكٍ منه أحَدًا، المُوافاةُ يومَ القيامَةِ»[٢].

وقدْ رواه البخاري عن أنَسٍ، قال: لَمَّا ثَقُلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ[٣]، فَقالتْ فاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وا كَرْبَ أباهُ! فقال لَها: «**لَيسَ على أبيكِ كَرْبٌ بعدَ اليومِ**»، فَلَمَّا ماتَ قالتْ: يا أبَتاهُ! أجابَ رَبًّا دَعاهُ، يا أبَتاه! مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْواه، يا أبَتاه! إلى جِبْريلَ نَنْعاه، فَلَمَّا دُفِنَ قالتْ فاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يا أنَسُ، أطابَتْ أنْفُسُكُم أن تَحْثُوا على رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرابَ؟[٤].

«لَمَّا وجَدَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كَرْبِ المَوْتِ ما وجَدَ»:

قال السِّنديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**منْ كَرْبِ المَوْتِ**» بفتح فَسُكُونٍ: ما اشْتَدَّ منَ الغَمِّ، وأخَذَ النَّفْسَ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ بضَمٍّ كافٍ وفَتْحِ راءٍ، على أنَّهُ جَمْعُ كُرْبَةٍ»[٥].

قال الحافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُرادُ بالكَرْبِ: ما كان يَجِدُهُ من شِدَّةِ المَوْتِ، وكان فيما يُصيبُ جَسَدَهُ منَ الآلامِ كالبَشَرِ؛ ليَتَضاعَفَ له الأجْرُ»[٦].

---

(١) رواه الحاكمُ (٤٤٢٢)، وقال ابنُ كثيرٍ في تاريخِهِ (٨/ ٩٣): «إسْنادٌ جَيِّدٌ».

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٢٩)، وأحْمَدُ (١٢٤٣٤)، وحسنه محققو المسند.

(٣) يعني: الكرب، وقد رواه البيهقي (٦٧٢٨)، ولفظه: «فَجَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الكَرْبُ».

(٤) صَحيحُ البُخاريّ (٤٤٦٢).

(٥) حاشيةُ السِّنديّ على سُنَنِ ابنِ ماجَه (١/ ٤٩٨).

(٦) فتح الباري (٨/ ١٤٩).

«**قالتْ فاطِمَةُ: واكَرْباهُ**» وفي روايةِ البُخاريِّ المتقدّمةِ: «وا كَرْبَ أباهُ».

وفيهِ: أنَّ كَرْبَ المَوْتِ وغُصَصَهُ لا تَتْرُكُ أحدًا، حتى الأنبياء.

«**فَقال النبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا كَرْبَ على أبيكِ بعدَ اليوم**»:

تَسليَةً لها؛ لأنَّ الكَرْبَ بسَبَبِ العلائِقِ الجُسمانيَّةِ، وبَعدَ اليومِ تَنقَطِعُ تلكَ العَلائِقُ الحِسِّيَّةُ، فَكَربُهُ سَريعُ الزّوالِ، يَنتقِلُ بَعدَهُ إلى أحْسَنِ النَّعيمِ[1].

«**إنَّهُ قَدْ حَضَرَ من أبيكِ ما ليس بتارِكٍ منه أحَدًا**»: كنايَةً عنِ المَوْتِ.

والمَقصُودُ: تَسليَتُها، بأنَّه لا كَرْبَ عليه بَعدَ اليومِ، وأمَّا اليَوم: فَقَدْ حَضَرَهُ ما هو مُقَرَّرٌ عامٌّ لِجَميعِ الأنامِ.

«**المُوافاةُ يومَ القيامَةِ**» المُوافاةُ: الإتيانُ والمُلاقاةُ.

وقال السِّنديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُهُ: «المُوافاةُ»: بَدَلٌ من «ما»، أو بَيانٌ لَهُ، أو خَبَرٌ مَحْذُوفٌ، وهو لِلْمَوْتِ.

وقولُـهُ: «يومَ القيامَةِ»: مَنْصُوبٌ بنَزْعِ الخافِضِ، أي: إلى يومِ القيامَةِ، أو ظَرْفٌ؛ بناءً على أنَّ يومَ كُلِّ أحَدٍ قيامَتُهُ، كما وردَ: «مَنْ ماتَ فَقَدْ قامَتْ قيامَتُهُ».

وقيلَ: المُوافاةُ: المُلاقاةُ، والمُرادُ بها: الحُضُورُ يومَ القيامَةِ، المُسْتَلْزِمُ لِلْمَوْتِ»[2].

عن ابنَ عَبَّاسٍ، أنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «مَنْ كان له فَرَطانِ من أُمَّتي أدْخَلَهُ اللهُ تعالى بهما الجَنَّةَ»، فقالتْ عائشَةُ: فَمَنْ كان له فَرَطٌ من أُمَّتِكَ؟ قال: «وَمَنْ كان له فَرَطٌ يا مُوَفَّقَةُ»، قالتْ: فَمَنْ لَم يَكُنْ له فَرَطٌ من أُمَّتِكَ؟، قال: «فأنا فَرَطٌ لأُمَّتي، لَنْ يُصابُوا بمِثْلي»[3].

---

(١) المواهب اللدنية (ص٦٦٩).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٤٩٨).

(٣) رواه الترمذي (١٠٦٢)، وأحمد (٣٠٩٨)، وضعفه الألباني، وحسنه محققو المسند.

«**مَنْ كان له فَرَطانِ**» أي: ولَدانِ لَمْ يَبْلُغا أوانَ الحُلُمِ، بل ماتا قَبْلَهُ.

«**أَدْخَلَهُ اللهُ تعالى بهما الجَنَّةَ**»، **فَقالتْ عائِشَةُ: فَمَنْ كان له فَرَطٌ من أُمَّتِكَ؟**»:

أي: فما حُكمُهُ؟ أو: فهَلْ له هذا الثَّوابُ؟

«**قال: ومَنْ كان له فَرَطٌ**» أي: فكذلك، «**يا مُوَفَّقَةُ**» أي: في الخَيرِ، ولِلْأَسْئِلَةِ الواقِعَةِ مَوْقِعَها؛ شَفَقَةً على الأُمَّةِ.

«**قالتْ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ له فَرَطٌ من أُمَّتِكَ؟**» أي: فما حالُهُ؟ **قال**: «**فأنا فَرَطٌ لأُمَّتي**» أي: سابِقُهُم، وشفيعُهم، بل أنا أعظَمُ من كُلِّ فَرَطٍ، فإنَّ الأجرَ على قَدْرِ المَشقَّةِ.

وعن أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إذا أرادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ من عِبادِهِ قَبَضَ نَبيَّها قَبْلَها، فَجَعَلَهُ لَها فَرَطًا وسَلَفًا بينَ يَدَيها، وإذا أرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَها ونَبيُّها حَيٌّ، فأهلَكَها وهو يَنْظُرُ، فأقَرَّ عَينَهُ بهَلَكَتِها حينَ كَذَّبُوهُ وعَصَوْا أمْرَهُ**»[1].

«**لَنْ يُصابُوا بمِثْلي**» أي: بمِثْلِ مُصيبَتي لهم، فإنَّ مُصيبَتي أشَدُّ عليهم من سائِرِ المَصائِبِ[2].

وقال ابنُ المَلَك رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أنا مُصيبَتُهُمُ العُظمَى التي أُصيبُوا بها، فإنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحمةٌ للعالمينَ، وأمَنةٌ لأصْحابِهِ، فأيُّ مُصيبةٍ أعْظمُ من فَقْدِهِ؟»[3].

وهذه اللفظَةُ هيَ الشَّاهِدُ من هذا الحديثِ، وهيَ التي لأجْلِها أوْرَدَ المُصَنِّفُ هذا الحديثَ في هذا البابِ؛ للدَّلالَةِ على أنَّ مُصيبَةَ الأُمَّةِ بهِ هيَ أعظَمُ المَصائِبِ.

قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لَنْ يُصابُوا بمِثْلي**» أي: بمِثْلِ مُصيبَتي؛ فإنِّي عِنْدَهُم أحَبُّ من كُلِّ والِدٍ ووَلَدٍ، فَمُصيبَتي عليهم أشَدُّ من جَميعِ المَصائِبِ، فأكُونُ أنا فَرَطَهُم، وهو شامِلٌ لِمَنْ أدْرَكَ زَمانَهُ ومَنْ لَمْ يُدْرِكْهُ، كما يَدُلُّ عليه تَعْبيرُهُ بـ«أُمَّتي»، بل المُصيبَةُ بالنِّسْبَةِ إلى مَنْ لَمْ يَرَهُ أعْظَمُ من وجْهٍ»[4].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٨٨).

(٢) يُنظَر: أشرف الوسائل (ص٥٨٧)، مرقاة المفاتيح (٣/ ١٢٣٩)، تحفة الأحوذي (٤/ ١٤٥).

(٣) شرح المصابيح (٢/ ٣٨٥).

(٤) جمع الوسائل (٢/ ٢٢٣).

وعن عائِشَةَ، أنَّ رســولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**يا أيُّها النَّاسُ، أيُّما أحَدٍ منَ النَّاسِ، أو منَ المُؤْمنينَ، أُصيبَ بمُصيبَــةٍ، فَلْيَتَعَزَّ بمُصيبَتِهِ بي عنِ المُصيبَةِ التي تُصيبُهُ بغَيري؛ فإنَّ أحَدًا من أُمَّتي لَنْ يُصابَ بمُصيبَةٍ بعدي أشَدَّ عليه من مُصيبَتي**»(١).

قــال المُناويُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «وإنَّما كانَتْ أعظَمَ المَصائِبِ لانقِطاعِ الوَحْيِ، وظُهُورِ الشَّرِّ بارْتِدادِ العَرَبِ، وتَحَزُّبِ المُنافِقينَ، وكان مَوْتُهُ أوَّلَ نُقصانِ الخَيرِ»(٢).

ولَقَدْ أحْسَنَ أبو العَتاهيَةِ رَحِمَهُٱللَّهُ **في قولِهِ -مُسَلِّيًا لِبعضِ إخْوانِهِ، في ولَدٍ له اسْمُهُ محمدٌ-:**

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصيبَةٍ وتَجَلَّدِ ... واعْلَم بأنَّ المَرْءَ غَيرُ مُخَلَّدِ
أوَما تَرَى أنَّ المَصائِبَ جَمَّةٌ ... وتَـرَى المَنيَّةَ لِلْعِبادِ بمَرْصَدِ
مَنْ لَم يُصَبْ مِمَّنْ تَرَى بمُصيبَةٍ؟ ... هذا سَبيلٌ لَسْتَ فيه بأوْحَدِ
فإذا ذَكَـرْتَ محمدًا ومُصابَهُ ... فاذْكُرْ مُصابَكَ بالنبيِّ محمدِ(٣)

(١) رواه ابن ماجه (١٥٩٩)، وصحَّحه الألباني.
(٢) فيض القدير (١/ ٢٨٦).
(٣) غِذاءُ الأَلْبابِ (٢/ ٣٣٥)، تفسير القرطبيّ (٢/ ١٧٦).

بابُ
ما جاءَ في
ميراثِ رَسولِ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هذا البابُ في بيانِ حُكْمِ ميراثِهِ، والمُرادُ بالميراثِ هُنا: مَتْرُوكاتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الهَيتميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الميراثُ: مصدرٌ بمعنى المورُوث، أي: المُخلَّف منَ المالِ»[(١)].

عن عَمْرِو بنِ الحارثِ أخي جُوَيريَةَ -لَهُ صُحْبَةٌ-، قال: «ما تَرَكَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا سِلاحَهُ، وبَغْلَتَهُ، وأرْضًا جَعَلَها صَدَقَةً»[(٢)].

«**عَمْرو بن الحارِثِ**» هُو: عمرُو بنُ الحارثِ بنِ أبي ضِرارِ بنِ عائذِ بنِ مالكٍ الخُزاعيُّ المُصْطلِقيُّ، أخُو جُوَيريَةَ زوجِ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، له صُحبَةٌ، ولكِنَّهُ قَليلُ الحديثِ[(٣)].

«**ما تَرَكَ رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أي: عند مَوْتِهِ، كما في روايةِ البُخاريِّ.

«**إلَّا سِلاحَهُ**» أي: ممَّا كان يَختَصُّ بلُبْسِهِ، من نَحْوِ سَيفٍ، ورُمْحٍ، ودِرْعٍ، ومِغْفَرٍ، وحَرْبَةٍ[(٤)].

---

(١) أشرف الوسائل (ص ٥٨٩).

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٩)، ولفظُهُ: «ما تَرَكَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند مَوْتِهِ دِرْهَمًا ولا دينارًا، ولا عبدًا ولا أمَةً، ولا شيئًا، إلا بَغْلَتَهُ البَيضاءَ، وسِلاحَهُ، وأرْضًا جَعَلَها صَدَقَةً».

(٣) أُسْدُ الغابَة (٤/ ١٩٧)، الإصابة (٤/ ٥٠٨)، تَقريبُ التّهذيبِ (ص ٤١٩)

(٤) مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٨٥٩).

«**وَبَغْلَتُهُ**» أي: البَيضاءَ، كما جاءَ عند البُخاريِّ، قيلَ: اسمُها «دُلْدُلٌ»، وقَدْ بَقيَتْ إلى زَمَنِ مُعاويَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما ذكرَ ذلك ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

«**وَأَرْضًا**»: **قال الكِرْمانيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هيَ نِصْفُ أرْضِ فَدَكٍ، وثُلُثُ أرْضِ وادي القُرَى، وسَهْمُهُ من خُمْسِ خَيبَرَ، وحِصَّةٌ من أرْضِ بَني النَّضيرِ»[٢].

وفي الحديثِ: ما كان عليه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَ الزُّهدِ في الدُّنيا والتَّقلُّلِ منْها؛ حيث إنَّه خَرَجَ منها ولَمْ يَتْرُكْ إلا ما يَحتاجُهُ الإنسانُ ضَرُورَةً، كالسِّلاحِ الذي يُجاهِدُ بِهِ الكُفَّارَ، والبَغْلَةِ التي كان يَرْكَبُها، وأمَّا ما تَرَكَ من أرضٍ: فقَدْ جَعَلَها صَدَقَةً.

عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «جاءَتْ فاطِمَةُ إلى أبي بَكْرٍ، فَقالتْ: مَنْ يَرِثُكَ؟ فقال: أهلي ووَلَدي، فَقالتْ: ما لي لا أرِثُ أبي؟ فقال أبو بَكْرٍ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «لا نُورَثُ»، ولَكِنِّي أعُولُ مَنْ كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُولُهُ، وأُنْفِقُ على مَنْ كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْفِقُ عليه»[٣].

«**جاءَتْ فاطِمَةُ إلى أبي بَكْرٍ**»: وذلك حينَ بَلَغَها أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ**».

«**فَقالتْ مَنْ يَرِثُكَ؟**» أي: بحُكْمِ الكِتابِ والسُّنَّةِ.

«**فَقال: أهلي**» أي: زَوْجَتي، «**وَوَلَدي**» أي: منَ الذُّكُورِ والإناثِ[٤].

«**فَقالتْ: ما لي لا أرِثُ أبي؟ فقال أبو بَكْرٍ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: لا نُورَثُ**»:

أي: نحنُ مَعاشرَ الأنْبياء لا نَتْرُكُ مالًا ميراثًا لأحَدٍ، وما تَرَكْناهُ فهو صدَقَةٌ عامَّةٌ لا يَختَصُّ بالوَرَثَةِ.

---

(١) الزَّادُ (٣/ ٦٠٤).

(٢) عمدة القاري (١٤/ ١٦٣)، مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٨٥٩).

(٣) رواه الترمذي (١٦٠٨)، وقال: «حَديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ من هذا الوَجْهِ»، وأحمدُ (٦٠)، (٧٩)، وصححه محققو المسند لغيرِهِ.

(٤) جمع الوسائل (٢/ ٢٢٥).

ولا يُعارِضُ هذا قَولَهُ تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]؛ لأنَّ المَقصُودَ وراثَةُ النُّبوَّةِ والعِلْمِ، لا ميراثُ الدُّنيا.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُه تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ هو ميراثُ العلمِ والنّبوةِ لا غَير، وهذا باتِّفاقِ أهلِ العِلمِ من المُفَسّرينَ وغَيرِهم، وهذا لأنَّ داوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ كان له أولادٌ كثيرَةٌ سوَى سُلَيمان، فلو كان المَوْرُوثُ هو المالَ لم يكنْ سُلَيمانُ مُخْتَصًّا بهِ...»[1].

«**وَلَكِنِّي أعُولُ مَنْ كان رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَعُولُهُ**» أي: أنفقُ عليه.

«**وَأُنْفِقُ على مَنْ كان رسولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يُنْفِقُ عليه**»:

قال القاري: «الظَّاهِرُ أنَّهُ عَطْفُ تَفْسيرٍ،كَما قالهُ الحَنَفيُّ؛ لِما في الصِّحاحِ: «عالَ الرَّجُلُ عيالَهُ يَعُولُهُمْ: قاتَهُم، وأنْفَقَ عليهمْ».

ويُمْكِنُ أن يُفَرَّقَ بينَهُما، بأنْ يخصَّ قولُهُ: «أعُولُ» بأهلِ داخِلِ بَيتِهِ، كما يُشيرُ إليه لَفْظُ: «العيالِ»، ويُرادَ بقولِهِ: «أُنْفِقُ على مَنْ كان يُنْفِقُ عليه» من غَيرِ أهلِ بَيتِهِ»[2].

وفي الصّحيحَينِ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ فاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، ابنَةَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَألَتْ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يَقْسِمَ لَها ميراثَها مِمَّا تَرَكَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا أفاءَ اللهُ عليه، فقال لَها أبو بَكْرٍ: إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ**»، فَغَضِبَتْ فاطِمَةُ بنْتُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَجَرَتْ أبا بَكْرٍ، فَلَم تَزَلْ مُهاجِرَتَهُ حتى تُوُفِّيَتْ، وعاشَتْ بعدَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أشْهُرٍ.

قالتْ: وكانَتْ فاطِمَةُ تَسْألُ أبا بَكْرٍ نَصيبَها مِمَّا تَرَكَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خَيبَرَ، وفَدَكٍ، وصَدَقَتَهُ بالمدينَةِ، فأبَى أبو بَكْرٍ عليها ذلك، وقال: «لَسْتُ تارِكًا شيئًا كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بهِ إلا عَمِلْتُ بهِ؛ فإنِّي أخْشَى إنْ تَرَكْتُ شيئًا من أمْرِهِ أن أزيغَ»[3].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٧).

(٢) جمع الوسائل (٢/ ٢٢٥).

(٣) رواه البخاري (٣٠٩٢)، ومسلم (١٧٥٩).

وقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَغَضِبَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَجَرَتْ أَبا بَكْرٍ، فَلَمْ تَزَلْ مُهاجِرَتَهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ».

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَوَى البَيْهَقيُّ مِنْ طَرِيقِ الشَّعْبيِّ: أَنَّ أَبا بَكْرٍ عادَ فاطِمَةَ، فَقالَ لَها عليٌّ: «هَذا أَبو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكِ»، قالَتْ: أَتُحِبُّ أَنْ آذَنَ لَهُ؟ قالَ: «نَعَمْ»، فَأَذِنَتْ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْها، فَتَرَضَّاها حَتَّى رَضِيَتْ.

وَهوَ وَإِنْ كانَ مُرْسَلًا فَإِسْنادُهُ إِلَى الشَّعْبيِّ صَحيحٌ، وَبِهِ يَزولُ الإِشْكالُ في جَوازِ تَمادي فاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ عَلَى هَجْرِ أَبي بَكْرٍ، وَقَدْ قالَ بَعْضُ الأَئِمَّةِ: «إِنَّما كانَتْ هِجْرَتُها انْقِباضًا عَنْ لِقائِهِ والِاجْتِماعِ بِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الهِجْرانِ المُحَرَّمِ؛ لِأَنَّ شَرْطَهُ أَنْ يَلْتَقِيا، فَيُعْرِض هَذا وَهَذا، وَكَأَنَّ فاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ لَمَّا خَرَجَتْ غَضْبَى مِنْ عِنْدِ أَبي بَكْرٍ تَمادَتْ في اشْتِغالِها بِحُزْنِها، ثُمَّ بِمَرَضِها».

وَأَمَّا سَبَبُ غَضَبِها مَعَ احْتِجاجِ أَبي بَكْرٍ بِالحَديثِ المَذْكورِ: فَلِاعْتِقادِها تَأْويلَ الحَديثِ عَلَى خِلافِ ما تَمَسَّكَ بِهِ أَبو بَكْرٍ، وَكَأَنَّها اعْتَقَدَتْ تَخْصيصَ العُمومِ في قَوْلِهِ: «لا نُورَثُ»، وَرَأَتْ أَنَّ مَنافِعَ ما خَلَّفَهُ مِنْ أَرْضٍ وَعَقارٍ لا يَمْتَنِعُ أَنْ تُورَثَ عَنْهُ، وَتَمَسَّكَ أَبو بَكْرٍ بِالعُمومِ، واخْتَلَفا في أَمْرٍ مُحْتَمِلٍ لِلتَّأْويلِ، فَلَمَّا صَمَّمَ عَلَى ذَلِكَ انْقَطَعَتْ عَنْ الِاجْتِماعِ بِهِ لِذَلِكَ.

فَإِنْ ثَبَتَ حَديثُ الشَّعْبيِّ أَزالَ الإِشْكالَ، وَأَخْلَقُ بِالأَمْرِ أَنْ يَكونَ كَذَلِكَ؛ لِما عُلِمَ مِنْ وُفُورِ عَقْلِها وَدينِها عَلَيْهَا السَّلَامُ»[1].

قال العُلَماءُ: والحِكْمَةُ في أَنَّ الأَنْبياءَ صَلَواتُ اللهِ عليهم لا يُورَثُونَ: أَنَّهُ لا يُؤْمَنُ أن يكونَ في الوَرَثَةِ مَنْ يَتَمَنَّى مَوْتَهُ فَيَهْلِك، ولِئَلَّا يُظَنَّ بِهِمُ الرَّغْبَةُ في الدُّنْيا، أو أَنَّهم يَجْمَعُونَ المالَ لوَرَثَتِهِم، فَيَهْلِك الظَّانُّ، ويَنْفِر النَّاسُ عنهم.

وقيلَ: لأَنَّهُم كالآباءِ لِلْأُمَّةِ، فَمالُهُم لِكُلِّ الأُمَّةِ[2].

---

(١) فتح الباري (٦/ ٢٠٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٧٤)، الكَواكبُ الدّراري، للكِرْمانيّ (١٣/ ٧٥).

عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يَقْسِمُ ورَثَتي دينارًا ولا دِرْهَمًا، ما تَرَكْتُ بعدَ نَفَقَةِ نِسائي ومُؤْنَةِ عامِلي فهو صَدَقَةٌ»(١).

«**لا يَقْسِمُ ورَثَتي**» سمَّاهُم ورَثَةً باعتِبارِ أنَّهُم كذلك، لكن مَنَعَهُم منَ الميراثِ الدَّليلُ الشَّرعيُّ.

«**دينارًا ولا دِرْهَمًا**»: **قال النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العُلماءُ**: هذا التقييدُ بالدِّينارِ هو من بابِ التَّنبيهِ على ما سِواهُ، فذَكَرَهُما تنبيهًا على ما فَوْقَهُما؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ**﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ**﴾ [آل عمران: ٧٥].

قالوا: وليس المُرادُ بهذا اللفظِ النَّهيَ؛ لأنَّه إنَّما يَنْهَى عمَّا يُمكِنُ وُقُوعُه، وإرْثُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيرُ مُمكِنٍ، وإنَّما هو بمعنى الإخبارِ، ومعناهُ: لا يَقتَسِمُونَ شيئًا؛ لأنِّي لا أُورَثُ.

هذا هو الصَّحيحُ المَشهُورُ من مذاهِبِ العُلماءِ في معنى الحديثِ، وبِهِ قال جماهيرُهُم.

ثمَّ إنَّ جُمهُورَ العُلماءِ على أنَّ جميعَ الأنبياءِ صلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عليهم أجمَعينَ لا يُورَثُونَ، وحَكَى القاضي عنِ الحَسَنِ البَصْريِّ أنَّه قال: عَدَمُ الإرْثِ بينَهُم مُختَصٌّ بنَبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقَولِهِ تعالى عن زكريَّا: ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ**﴾ [مريم: ٦]، وزعَمَ أنَّ المُرادَ وراثَةُ المالِ، ولِقَولِه تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ**﴾ [النمل: ١٦]، والصَّوابُ ما حَكَيناهُ عنِ الجُمهُورِ: أنَّ جميعَ الأنبياءِ لا يُورَثُونَ، والمُرادُ بقِصَّةِ زكريَّا وداوُدَ: وراثَةُ النُّبوَّةِ، وليس المُرادُ إرثَ المالِ، بل قيامُهُ مَقامَهُ، وحُلُولُهُ مَكانَه، واللهُ أعلمُ»(٢).

«**ما تَرَكْتُ بعدَ نَفَقَةِ نِسائي**»:

لَيسَ مَعْناهُ: إرْثهنَّ منْهُ، بل لِكَوْنِهنَّ مَحْبُوساتٍ عنِ الأزْواجِ بسَبَبِه، أو لِعِظَمِ حَقِّهنَّ في بَيتِ المالِ لِفَضْلِهنَّ، وقِدَمِ هِجْرَتِهنَّ، وكَوْنِهنَّ أُمَّهاتِ المُؤمنينَ، وكذلك اخْتُصِصْنَ بمَساكِنِهنَّ، ولَمْ يَرِثْها ورَثَتُهُنَّ(٣).

---

(١) رواه البخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٦٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٨١).

(٣) المصدر السابق (١٢/ ٧٣).

وكان سُــفْيانُ بنُ عُيَينَة يقولُ: «أزواجُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معنى المُعْتدَّاتِ؛ لأَنَّهُ لا يَجوزُ لَهُنَّ النِّكاحُ أبدًا، فَجَرَتْ عليهنَّ النَّفَقَةُ، وتُركتْ حُجَرُهنَّ لَهُنَّ يَسكنَّها»[1].

«**وَمُؤْنَةِ عامِلِي**»:

قــال الحافِظُ: «وَهُوَ دالٌّ على مَشْرُوعيَّةِ أُجْرَةِ العامِلِ على الوَقْفِ، والمُرادُ بالعامِلِ في هذا الحديثِ: القَيِّمُ على الأرْضِ، والأجيرُ، ونَحْوُهُما، أوِ الخَليفَةُ بعدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

«**فَهُوَ صَدَقَةٌ**»: قال القاضي عياضٌ في تفسيرِ صدَقاتِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَذكُورَةِ في هذه الأحاديثِ:

«صارَتْ إليه بثَلاثَةِ حُقُوقٍ:

أحَدُها: ما وُهِبَ له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك وصيَّةُ مُخَيريقٍ اليَهُوديِّ له عند إسلامِهِ يومَ أُحُدٍ، وكانَتْ سَــبْعَ حَوائِطَ في بَني النَّضيرِ، وما أعْطاهُ الأنصارُ من أرضِهِم، وهو ما لا يَبْلُغُهُ الماءُ، وكان هذا مِلْكًا له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثَّاني: حَقُّــهُ منَ الفَيءِ من أرْضِ بَني النَّضيرِ حينَ أجْلاهُــم، كانَتْ له خاصَّةً؛ لأنَّها لَمْ يُوجِفْ عليها المُسْلِمُونَ بخَيلٍ ولا رِكابٍ، وأمَّا مَنْقُولاتُ بَني النَّضيرِ فَحَمَلُوا منها ما حَمَلَتْهُ الإبِلُ غَيرَ السِّــلاحِ، كما صالَحَهُم، ثُمَّ قَسَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الباقي بينَ المُسْلِمينَ، وكانَتِ الأرْضُ لِنَفْسِهِ، ويُخْرِجُها في نَوائِبِ المُسْلِمينَ.

وكذلك نِصْفُ أرْضِ فَدَكٍ، صالَحَ أهلَها بعدَ فَتْحِ خَيبَرَ على نِصْفِ أرْضِها، وكان خالِصًا لَهُ، وكذلك ثُلُــثُ أرْضِ وادي القُرَى، أخَذَهُ في الصُّلْحِ حينَ صالَحَ أهلَها اليَهُودَ، وكذلك حِصْنانِ من حُصُونِ خَيبَرَ، وهُما: الوَطيحُ، والسَّلالِمُ، أخَذَهُما صُلْحًا.

الثَّالِثُ: سَهْمُهُ من خُمُسِ خَيبَرَ، وما افْتُتِحَ فيها عَنْوَةً.

فَكانَتْ هذه كُلُّها مِلْكًا لِرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصَّةً، لا حَقَّ فيها لأحَدٍ غيره، لكنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) كشف المشكل (١/ ٢٩).

(٢) فتح الباري (٥/ ٤٠٦).

كان لا يَسْتَأْثِرُ بها، بل يُنْفِقُها على أهلِهِ والمُسْلِمينَ، ولِلْمَصالِحِ العامَّةِ، وكُلُّ هذه صَدَقاتٌ مُحَرَّماتُ التَّمَلُّكِ بعدَهُ، واللهُ أعلمُ»[1].

وروى الخَطَّابيُّ بإسْنادِهِ عنِ ابنِ الأعْرابيِّ، قال: «كانَ أوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَها أبو العَبَّاسِ السَّفَّاحُ في قَرْيَةٍ يُقال لَها العَبَّاسيَّةُ بالأنْبارِ، فَلَمَّا افْتَتَحَ الكَلامَ وصارَ إلى ذِكْرِ الشَّهادَةِ من الخُطْبَةِ، قامَ رَجُلٌ من آلِ أبي طالِبٍ في عُنُقِهِ مُصْحَفٌ، فقال: أُذَكِّرُكَ اللهَ الذي ذَكَرْتَهُ إلا أنْصَفْتَني من خَصْمي، وحَكَمْتَ بَيني وبينَهُ بما في هذا المُصْحَفِ، قال له: ومَنْ ظَلَمَكَ؟ قال: أبو بَكْرٍ، الذي مَنَعَ فاطِمَةَ فَدَكًا، فقال له: وهَلْ كان بعدَهُ أحَدٌ؟ قال: نَعَم، قال مَنْ؟ قال: عمرُ، قال: وأقامَ على ظُلْمِكُمْ؟ قال: نَعَم، قال: وهَلْ كان بعدَهُ أحَدٌ؟ قال: نَعَم، قال: مَنْ؟ قال: عُثْمانُ، قال: وأقامَ على ظُلْمِكُمْ؟ قال: نَعَم، قال: وهَلْ كان بعدَهُ أحَدٌ؟ قال: نَعَم، قال مَنْ؟ قال أميرُ المُؤْمنينَ عليُّ بنُ أبي طالِبٍ، قال: وأقامَ على ظُلْمِكُمْ؟ فأُسْكِتَ الرَّجُلُ، وجَعَلَ يَلْتَفِتُ إلى ما وراءَهُ يَطْلُبُ مُخَلِّصًا، فقال له: واللهِ الذي لا إلَهَ إلا هُوَ، لَوْلا أنَّهُ أوَّلُ مقامٍ قُمْتُهُ، ثُمَّ إنِّي لَمْ أكُنْ تَقَدَّمْتُ إلَيكَ في هذا قَبْلُ، لَأخَذْت الذي فيه عَيناكَ، اقْعُدْ. وأقْبَلَ على الخُطْبَةِ»[2].

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٨٢).

(٢) معالم السنن (٣/ ١٥).

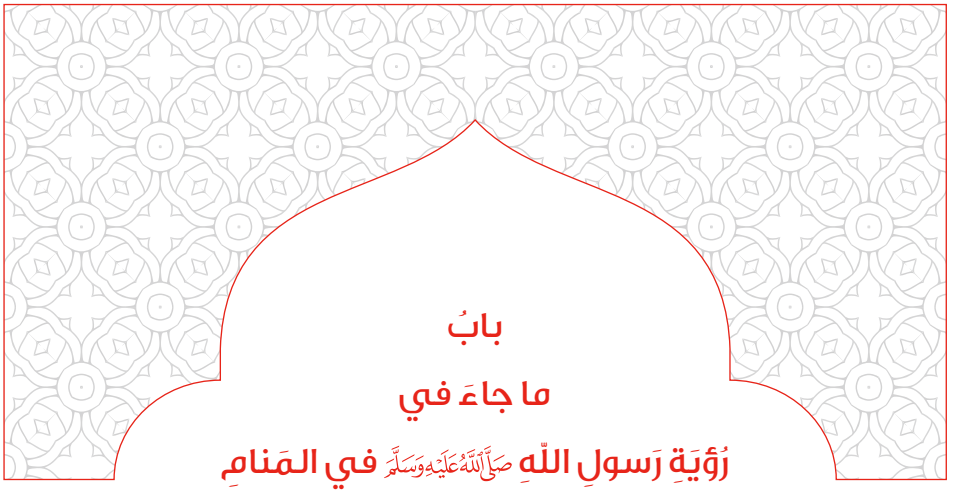

بابُ
ما جاءَ في
رُؤيَةِ رَسولِ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المَنامِ

عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ رآني في المَنامِ فَقَدْ رآني؛ فإنَّ الشَّيطانَ لا يَتَمَثَّلُ بي»[(١)].

ومعنى قولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَقَدْ رآني**»: أنَّ رُؤياهُ صَحيحَةٌ، لَيسَتْ بأضغاثٍ، ولا من تشبيهاتِ الشَّيطانِ[(٢)].

وفي روايَةٍ: «**مَنْ رآني فَقَدْ رَأى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيطانَ لا يَتَكَوَّنُني**»[(٣)].

وهذا مِثلُ قوْلِهِ:

«**فإنَّ الشَّيطانَ لا يَتَمَثَّلُ بي**» أي: لا يَحْصُلُ له مِثالُ صُورَتي، ولا يَتَشَبَّهُ بي.

قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال بعضُ العُلَماءِ**: خَصَّ اللهُ تعالى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ رُؤْيَةَ النَّاسِ إيَّاهُ صَحيحَةٌ، وكُلَّها صِدْقٌ، ومُنِعَ الشَّيطانُ أن يَتَصَوَّرَ في خِلْقَتِهِ؛ لِئَلَّا يَكْذِبَ على لِسانِهِ في النَّوْمِ، كما خَرَقَ اللهُ تعالى العادَةَ لِلْأنْبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالمُعْجِزَةِ، وكما اسْتَحالَ

(١) رواه البخاري (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦)، من حَديثِ أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢٤).
(٣) رواه البخاري (٦٩٩٧).

أن يَتَصَوَّرَ الشَّـيطانُ في صُورَتِهِ في اليَقَظَةِ، ولَوْ وقَعَ لاشْـتَبَهَ الحَقُّ بالباطِلِ، ولَمْ يُوثَقْ بما جاءَ بِهِ مَخافَةً من هذا التَّصَوُّرِ، فَحَماها اللهُ تعالى منَ الشَّـيطانِ ونَزْغِهِ ووَسْوَسَتِهِ، وإلقائِهِ وكَيدِهِ»[١].

وفي المُسنَدِ عن أبي هُريرة، قال: قال رسـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَآني في المَنامِ فَقَدْ رَأى الحَقَّ، إنَّ الشَّيطانَ لا يَسْتَطيعُ أن يَتَشَبَّهَ بي**»[٢].

قال الحافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيهِ إشارَةٌ إلى أنَّ اللهَ تعالى وإنْ أمْكَنَهُ منَ التَّصَوُّرِ في أيِ صُورَةٍ أرادَ، فإنَّـهُ لَمْ يُمَكِّنْهُ منَ التَّصَوُّرِ في صُورَةِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَـدْ ذَهَبَ إلى هذا جَماعَةٌ، فَقالوا في الحديثِ: «إنَّ مَحَلَّ ذلك إذا رَآهُ الرَّائي على صُورَتِهِ التي كان عليها».

وقال عُلَماءُ التَّعْبيرِ: «إذا قال الجاهِلُ: رَأيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّهُ يُسْألُ عن صِفَتِهِ، فإنْ وافَقَ الصِّفَةَ المَرْويَّةَ، وإلَّا فلا يُقْبَلُ منْهُ»[٣].

وكان محمَّدُ بنُ سـيرينَ إذا قَصَّ عليه رَجُلٌ أنَّـهُ رَأى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «صِفْ لِيَ الذي رَأيتَهُ»، فإنْ وصَفَ له صِفَةً لا يَعْرِفُها قال: «لَمْ تَرَهُ».

قال الحافِظُ: «وَسَـنَدُهُ صَحيحٌ، ووَجَدْتُ له ما يُؤَيِّدُهُ؛ فأخْرَجَ الحاكِمُ من طَريقِ عاصِمِ ابنِ كُلَيبٍ، حَدَّثَني أبي قال: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: رَأيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المَنامِ، قال: «صِفْهُ لي»، قال: ذَكَرْتُ الحَسَنَ بنَ عليٍّ فَشَبَّهْتُهُ بِهِ، قال: «قَدْ رَأيتَهُ»[٤]، وسَنَدُهُ جَيِّدٌ»[٥].

عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَآني في المَنامِ فَقَدْ رَآني؛ فإنَّ الشَّيطانَ لا يَتَصَوَّرُ -أوْ قال: لا يَتَشَبَّهُ- بي»[٦].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (٩٤٨٨)، وصححه محققو المسند.

(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٨٦).

(٤) رواه الحاكم (٨١٨٦)، بنَحوِهِ، وسَيأتي.

(٥) فتح الباري (١٢ / ٣٨٤).

(٦) رواه أحمد (٩٣١٦)، وصححه محققو المسند على شرط الشيخين.

قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإنَّ الشَّيطانَ لا يَتَصَوَّرُ بي**» أي: لا يَقْدِرُ أن يَظْهَرَ بصُورَتي، «**أوْ قال: لا يَتَشَبَّهُ بي**»: والتَّصَوُّرُ والتَّشَبُّهُ والتَّمَثُّلُ مُتَقارِبَةُ المعنى، وإنْ كانَتْ مُخْتَلِفَةَ المَبْنَى»[1].

عن عاصمِ بنِ كُلَيبٍ، قال: حَدَّثَني أبي، أنَّهُ سَمِعَ أبا هريرةَ يقولُ: قال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ رَآني في المَنامِ فَقَدْ رَآني؛ فإنَّ الشَّيطانَ لا يَتَمَثَّلُني».

قال أبي: فَحَدَّثْتُ بهِ ابنَ عَبَّاسٍ، فقلت: قَدْ رَأيتُهُ، فَذَكَرْتُ الحَسَنَ بنَ عليٍّ، فَقلت: شَبَّهْتُهُ بهِ، فقال ابنُ عَبَّاسٍ: «إنَّهُ كان يُشْبِهُهُ»[2].

فَمنْ رَأى النّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المَنامِ على صُورتِهِ الحَقيقيّةِ فَقدْ رَآهُ حَقًّا؛ فإنَّ الشَّيطانَ لا يَتمثّلُ بهِ، فإنْ رَأى في مَنامِهِ مَن يَدّعي أنّه رسولُ اللهِ على غَيرِ صُورَتِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَليسَتْ برؤيا حَقٍّ؛ لأنَّ الشَّيطانَ يُمكنُ أن يَتمثَّلَ بغيرِ صُورةِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الحَقيقيّةِ.

وكان الحَسَنُ بنُ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يُشبِهُ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فعَنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ، قال: «لَمْ يَكُنْ أحَدٌ منْهُم أشْبَهَ برسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منَ الحَسَنِ بنِ عليٍّ»[3].

عن أنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «مَنْ رَآني في المَنامِ فَقَدْ رَآني؛ فإنَّ الشَّيطانَ لا يَتَخَيَّلُ بي»، وقال: «وَرُؤْيا المُؤْمنِ جُزْءٌ من سِتَّةٍ وأرْبَعينَ جُزْءًا منَ النُّبُوَّةِ»[4].

«**رُؤيا المُؤمنِ**»: هيَ الرُّؤيا الصَّالحَةُ يَراها الرّجلُ الصَّالحُ، وفي روايةٍ: «**الرُّؤْيا الحَسَنَةُ منَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ من سِتَّةٍ وأرْبَعينَ جُزْءًا منَ النُّبُوَّةِ**»[5].

---

(١) جمع الوسائل (٢/ ٢٣٢).

(٢) رواه أحمد (٨٥٠٨)، والحاكم (٨١٨٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال محققو المسند: «سَندُه قَويّ».

(٣) رواه الترمذي (٣٧٧٦)، وصححه، وأحمد (١٢٦٧٤)، وصححه محققو المسند على شرط الشيخين.

(٤) رواه البخاري (٦٩٩٤)، ومسلم (٢٢٦٤)، بشطره الثاني.

(٥) رواه البخاري (٦٩٨٣).

وعن عائِشَـــةَ، أنَّ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: «**لا يَبْقَى بعدي منَ النُّبُوَّةِ شيءٌ إلا المُبَشِّراتُ**»، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما المُبَشِّراتُ؟ قال: «**الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَراها الرَّجُلُ، أو تُرَى لَهُ**»(١).

«جزءٌ من ستَّةٍ وأربعينَ جزءًا منَ النُّبوَّةِ»:

وقدْ تَعدَّدتِ الرِّواياتُ في ذلك:

فَفي هذه الرِّوايةِ: «**جزءٌ من ســتَّةٍ وأربعــينَ جزءًا منَ النُّبــوَّةِ**»، وفي روايةٍ: «**جُزْءٌ من خَمْسٍ وأرْبَعينَ جُزْءًا منَ النُّبُوَّةِ**»(٢)، وفي روايةٍ: «**جُزْءٌ من سَــبْعِيَن جُزْءًا منَ النُّبُوَّةِ**»(٣)، وفي روايةٍ: «**جُزْءٌ من تِسْعَةٍ وأرْبَعينَ جُزْءًا منَ النُّبُوَّةِ**»(٤)، وفي روايةٍ: «**جُزْءٌ من خَمْسِيَن جُزْءًا منَ النُّبُوَّةِ**»(٥).

وقدْ جَمَعَ بينَها الطَّبَريُّ، فقال: «روايةُ السَّــبْعينَ عامَّةٌ في كُلِّ رُؤْيا صادِقَةٍ من كُلِّ مُسْلِمٍ، وروايــةُ الأرْبَعينَ خاصَّةٌ بالمُؤْمــنِ الصَّادِقِ الصَّالِحِ، وأمَّا ما بينَ ذلك: فبالنِّســبةِ لأحْوالِ المُؤمنينَ»(٦).

وقيلَ: المُرادُ: أنَّ الخَفيَّ منها جُزْءٌ من سَبْعينَ، والجَليَّ جُزْءٌ من سِتَّةٍ وأرْبَعينَ.

وقيلَ غَيرُ ذلك(٧).

وقَدْ اسْتُشْكِلَ كَوْنُ الرُّؤْيا جُزْءًا منَ النُّبُوَّةِ، مع أنَّ النُّبُوَّةَ انْقَطَعَتْ بمَوْتِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

---

(١) رواه أحمدُ (٢٤٩٧٧)، وصححه محققو المسند، وروى مسلم (٤٧٩) عنِ ابن عباس، عنِ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أيُّها الناسُ، إنهُ لم يَبْقَ من مُبَشِّرَاتِ النبوَّةِ إلا الرؤيا الصالحةُ، يراها المسلمُ، أو تُرى له**».

(٢) رواه مسلم (٢٢٦٣).

(٣) رواه مسلم (٢٢٦٥).

(٤) رواه أحمد (٧٠٤٤)، وصححه محققو المسند لغيرِهِ.

(٥) رواه الطَّبرانيُّ في الأوْسطِ (٥٨١٢)، وضعَّفهُ الألبانيُّ في ضَعيفِ الجامِعِ (٣٠٧٩).

(٦) فتح الباري (١٢/ ٣٦٥).

(٧) يُنظَر: شرح النووي على مســلم (١٥/ ٢١)، فتح البــاري (١٢/ ٣٦٤-٣٦٦)، شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٥١٦).

فَقيــلَ في الجَوابِ: إنْ وقَعَتِ الرُّؤْيــا منَ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَهيَ جُزْءٌ مــن أجْزاءِ النُّبُوَّةِ حَقيقَةً، وإنْ وقَعَتْ من غَيرِ النبيِّ فَهيَ جُزْءٌ من أجْزاءِ النُّبُوَّةِ على سَبيلِ المَجازِ.

وقــال الخَطَّابيُّ: «قيلَ: مَعْنــاهُ: أنَّ الرُّؤْيا تَجيءُ على مُوافَقَةِ النُّبُــوَّةِ، لا أنَّها جُزْءٌ باقٍ منَ النُّبُوَّةِ».

وقيلَ: «المعنى: أنَّها جُزْءٌ من عِلْمِ النُّبُوَّةِ؛ لأنَّ النُّبُوَّةَ وإنِ انْقَطَعَتْ فَعِلْمُها باقٍ».

وقال القاضي أبو بَكْــرِ بنُ العَرَبيِّ: «أجْزاءُ النُّبُوَّةِ لا يَعْلَمُ حَقيقَتَها إلا مَلَكٌ أو نَبيٌّ، وإنَّما القَدْرُ الذي أرادَهُ النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يُبَــيِّنَ أنَّ الرُّؤْيا جُزْءٌ من أجْزاءِ النُّبُوَّةِ في الجُمْلَةِ؛ لأنَّ فيها اطِّلاعًا على الغَيبِ من وجْهٍ ما، وأمَّا تَفْصيلُ النِّسْبَةِ: فَيَخْتَصُّ بمَعْرِفَتِهِ دَرَجَةُ النُّبُوَّةِ»[1].

ثُمّ خَتَمَ أبو عيسَــى التِّرمِذيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ كتابَهُ المُبارَكَ بروايَةِ أثَرَينِ في الحَثِّ على اتِّباعِ السُّنّةِ، ومُلازَمَةِ طَريقِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، والأخذِ عن أهلِ العَدالَةِ، والبُعْدِ عن سَبيلِ المُنحرفينَ من أهلِ البِدعَةِ:

قال عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ: «إذا ابْتُليتَ بالقَضاءِ فَعَلَيكَ بالأثَرِ».

«**إذا ابتُليتَ**» بصيغةِ المَجهولِ، والخِطابُ عامٌّ، أي: امتُحِنْتَ.

«**بالقَضــاءِ**» أي: تَعيَّنْــتَ لَه، وفيهِ إشــارَةٌ إلى أنَّ الحُكومَةَ والقضاءَ مــن أنواعِ البَلاءِ، والقضاءُ: هو الحُكْمُ والفَصْلُ بينَ النَّاسِ.

«**فَعَلَيكَ بالأثَــرِ**» أي: باتِّباعِ آثــارِهِ واقتِفاءِ أخبارِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولُزومِ طَريقِ السّــلَفِ الصَّالِحِ، ومعْرِفَةِ أقْضيَتِهِم وأحْكامِهِم واجْتِهاداتِهِم[2].

عنِ ابنِ سيرينَ قال: «هذا الحديثُ دينٌ، فانْظُرُوا عَمَّنْ تَأخُذُونَ دينَكُمْ».

«**هذا الحديثُ**» أي: هذا التَّحديثُ، أو عِلمُ الحديثِ، أو جِنسُ الحديثِ.

---

(١) يُنظَر: فتح الباري (١٢/ ٣٦٣-٣٦٥).

(٢) جمع الوسائل (٢/ ٢٣٩).

«**دينٌ**» أي: منَ الدِّينِ.

ورواه مسلم، ولفظُهُ: «إنَّ هذا العِلْمَ دينٌ، فانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دينَكُمْ»[١].

«**فانظُرُوا عمَّن تأخذُونَ دينكُم**»:

والمُرادُ: الأخْذُ عنِ العُدُولِ الثِّقاتِ، وتَرْكُ الأخْذِ عَمَّنْ عَداهُمْ[٢].

وعن ابنِ سيرينَ -أيضًا- قال: «لَم يكونُوا يَسْأَلُونَ عنِ الإسْنادِ، فَلَمَّا وقَعَتِ الفِتْنَةُ قالوا: سَمُّوا لَنا رِجالَكُم، فَيُنْظَرُ إلى أهلِ السُّــنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَديثُهُم، ويُنْظَرُ إلى أهلِ البِدَعِ فلا يُؤْخَذُ حَديثُهُمْ»[٣].

وقال عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ: «الإسْنادُ منَ الدِّينِ، ولَوْلا الإسْنادُ لَقال مَنْ شاءَ ما شاءَ»[٤].

نَسألُ اللهَ أن يَهدِيَنا وإخْوانَنا المُسلمينَ سَبيلَ الرَّشادِ، وأنْ يُوفقَنا إلى إصابَةِ الحَقِّ والسَّدادِ، وأنْ يَصرِفَ عَنَّا ضَلالَةَ أهلِ الغَيِّ والفَسادِ، وغوايَةَ أهلِ البِدعةِ والعِنادِ.

(١) صحيح مسلم (١/ ١٤).

(٢) يُنظَر: مرقاة المفاتيح (١/ ٣٣٦)، التنوير (٤/ ١٤٥)، جمع الوسائل (٢/ ٢٣٩).

(٣) رواه مسلم (١/ ١٥).

(٤) رواه مسلم (١/ ١٥).